وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

مطبوعة في مقياس مدارس ومناهج

مقدمة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية للسداسي الأول

إعداد:

د. كسال مسعودة

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
تمهيد.	**01**
1-تعريف المنهج العلمي	**04**
1-1-تعريف المنهج	**04**
1-2-تعريف مناهج البحث	**05**
2-أهمية المنهج العلمي	**07**
3-العمليات الأساسية في المنهج العلمي	**07**
3-1-الاستقراء	**07**
3-2-الاستنباط	**08**
3-3-التحليل والتركيب	**09**
3-4-التجربة والتجريب	**10**
3-5-التفسير	**11**
3-6-التجريد	**11**
3-7-التنظيم	**12**
3-8-التعميم	**12**
3-9-الفهم	**13**
4-العناصر الأساسية في المنهج العلمي	**13**
4-1-الوسائل والادوات	**13**
5-خطوات المنهج العلمي	**27**
5-1-الملاحظة	**27**
5-2-تحديد مشكلة البحث	**34**
5-3-صياغة الفرضيات	**39**
6-مراحل تكون المنهج العلمي	**45**

6-1-في العصور القديمة	45
6-2-العصور الوسطى	46
6-3-العصر الحديث	47
6-4-اسهامات المسلمين في البحث العلمي	48
6-5-اسهامات علماء أوروبا في البحث العلمي	51
7-المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية والإنسانية	55
7-1-المنهج التاريخي	55
7-2-المنهج التجريبي في العلوم الإنسانية والاجتماعية	59
7-3-المنهج الكمي أو الإحصائي	66
8-المناهج الكمية والمناهج الكيفية	72
9-الموضوعية والذاتية	75
9-1-الموضوعية	75
9-2 الذاتية	76
قائمة المراجع	77

تمهيد

إن الهدف الأساسي من استعمال الباحث في العلوم الاجتماعية لمجموعة من المناهج في دراسته هو الوصول إلى الهدف الذي رسمه من وراء دراسته لموضوع ما، مستعينا في ذلك بالمعرفة العلمية، ولقد ذاعت كلمة المناهج في كثير من الكتابات المعاصرة، والمنهج العلمي هو امتداد للعمليات العقلية التي نستخدمها كل يوم في العديد من المواضيع، وعلى سبيل المثال، إذا أرادنا أن نطرق مكانا ما، فإننا يجب أن نعرف من أين نبدأ؟ وإلى أين نرغب في أن نذهب؟ ثم نبدأ في التحرك، وهكذا يفعل العالم نفس الشيء، فهو يستخدم في بحوثه إجراءات معينة، ويخطط تخطيطا جيدا يساعده في اعماله، وهو يحدد منذ البداية مشكلة البحث التي سيقوم بفحصها، ثم يخطو خطوة لإقامة موقف بخث، يتعلق بمشكلة بحثه.[1]

ولهذا جاءت كلمة المناهج وليدة مباحث فلسفية، وصدرت عن المنطق، ويقول عنها المنطقي الفرنسي **لالاند LALAND** في قاموسه الفلسفي: ان مناهج العلم والميتودولوجيا Methodologie تعد جزءا من أجزاء المنطق وميدانا أساسيا من ميادينه.[2]

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **العلم والبحث العلمي، دراسة في مناهج العلوم**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، السنة غير مذكورة، ص139.
[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.

إن المعرفة العلمية هي نوع من المعرفة الذي يقوم على دراسة الظواهر التي يتم إدراكها في غالب الأحيان عن طريق الحواس. وهي السمع، اللمس، الشم، الرواية والذوق، إلا أنه من غير الممكن ملاحظة هذه الظواهر دائما بصفة مباشرة، إذ لا تقوى العين على رواية كل ما يجري في المجال الرحب، كما أن الأذن قد لا تستطيع سماع أصوات متعددة والتمييز بينها في نفس الوقت، لهذا يصبح من الضروري في بعض الأحيان، اللجوء إلى استعمال أدوات تسمح برواية أكثر تفصيلا وبعدا، والاستماع بأكثر حدة وصفاء، والتذوق والشم واللمس بانضباط وإحكام أكثر[1].

فمثلا لا يمكن قياس معدلات الجريمة واتساع مداها وانتشارها إلا بالرجوع إلى استغلال المعطيات الواردة في محاضر الشرطة، فالمعرفة العلمية تقوم إذن على أحداث ووقائع، أو على أعراض وآثار يمكن إدراكها، ويبقى علينا نحن التحقق من طبيعتها بواسطة الاختبار، وليس هناك معرفة علمية، دون تفتح على التحقق أكثر فأكثر ورغم أنه لا يمكن التحقق دائما وفي الحال من كل الإجراءات المصممة خصيصا لظاهرة ما، فإن القيمة العلمية لإدراك هذا التصميم وفهمه لا يمكن ضمانها إلا بعد التحقق منها.[2]هذا يعني أن المعرفة العلمية تتطلب دائما حججا وبراهين، بالإضافة إلى هذا فإن المعرفة العلمية تتميز بتطورها الدائم، إذ لا يمكن أن يتوقف انتشارها دون أن يؤدي إلى نفيها أو إنكارها، ذلك لأن هدفها هو زيادة اكتشافاتها حول الظواهر دون توقف، أي أن يؤدي كل اكتشاف إلى اكتشاف آخر وهكذا دواليك، وهذا هو ما يعبر عنه

[1] موريس أنجرس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص47.
[2] نفس المرجع، ص48.

عادة بتراكم المعارف الذي لا نهاية له، أو ما يعرف أيضا بتتابع ثورات المعرفة.[1]

إن المعرفة العلمية تتطور وتتقدم دائما ولا يمكن أن نكتفي بما تم اكتسابه. فضلا عن ذلك، فكل باحث لا يبدأ من الصفر كما لو لم يتم في مجاله أي شيء من قبل، فلقد عرف النظريات والاكتشافات السابقة، ويستعملها إما لتنقيتها وتصفيتها وتكرارها وإما للاعتراض عليها، بكيفية أو بأخرى فإن التقاليد العلمية لا تنفي أو تتجاهل أبدا التفسيرات الجديدة، التي يتم أو يجري اقتراحها باستمرار، إن العلم منذ انطلاقه في القرن 19، ما زال محل إثراء مستمر بالمعارف التي ينتجها خبراؤه وممارسوه. إن هذا التطور لا يمكن أن ينتهي طالما يبدو الواقع أنه غير فان.[2]

أي باختصار، فإن العلم هو نوع من المعرفة القائمة على الوقائع والتحقيقات التي تهتم بتطوره، وباعتباره مسعى في تطور دائم، فالعلم هو أيضا نشاط معيش، وليس مجموعة بسيطة من المعارف أو كية من الخبرات المتراكمة كما تظهر من الخارج.

إن النشاط العلمي الموجه إلى إنتاج المعرفة، يتميز بنمط من التنظيم خاص به، كما يتميز أيضا بديناميكية كبيرة.[3]

---

[11] موريس أجرس، الرجع السابق، ص48.
[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.
[3] نفس المرجع، ص49.

1-تعريف المنهج العلمي:

1-1-تعريف المنهج: إن المنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث للوصول إلى دراسة موضوع بحثه أو هو الخطة العامة أو الإطار العام الذي يرسمه الباحث لتحقيق أهداف بحثه.[1]

وعرف **ديكارت** المنهج في مقاله الشهير الذي أصدره تحت عنوان: **Discours de la méthode** بأنه طريقة لإحكام العقل أي **Méthode pour bien conduire la raison** ويهدف المنهج عنده إلى البحث عن الحقيقة في العلوم.[2]

وإن كلمة منهج ليست مصطلحا أحادي المعنى في العلم (GRAWITZ1986) فقد نسعى إلى تجنبها (Gauthier1992) ولكننا لا نستطيع تجاهلها طالما هي مستعملة، وإن استعمالها عادة ما يكون مقرونا بنعت يحدد ما هو المنهج المأخوذ بعين الإعتبار مثلا: منهج كمي، منهج كيفي، منهج علمي، تجريبي، تاريخي أو تحقيق ميداني. وذلك على سبيل ذكر البعض منها فقط.[3]

وعلى مستوى ملموس أكثر، فغن كلمة منهج يمكن ارجاعها إلى طريقة تصور وتنظيم البحث، ينص إذن المنهج على كيفية تصور وتخطيط العمل حول موضوع دراسة ما، إنه يتدخل بطريقة أكثر أو اقل إلحاح، بأكثر أو أقل دقة، في كل مراحل البحث أو في هذه المرحلة أو تلك.

---

[1] صلاح الفوال، **علم الاجتماع: المفهوم والموضوع والمنهج**، دار الفكر العربي، 1982، ص163.
[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص140.
[3] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص98.

كما يمكن إرجاع كلمة منهج إلى ميدان خاص يتضمن مجموعة من الإجراءات الخاصة بمجال دراسة معين، مثلا يملك منهج التحليل النفساني، إجراءا للتقصي خاصا به.[1]

1-2-تعريف مناهج البحث:

يراد بمناهج البحث، الطرق التي ينبغي ان يسير عليها الباحث في دراسته لظواهر علمه، لكي يصل إلى نتائج يقينية في الكشف عن طبيعة هذه الظواهر، وما يكتنفها من أسباب ومسببات، وما تخضع له من قوانين.[2]

وقد أفرد لمناهج البحث فرع هام من فروع المنطق يطلق عليه اسم "المنطق الاستقرائي" أو" منطق المادة" للإشارة أنه يعصم الفكر من أن يتعارض مع مادة الحقائق الخارجية أي مع الواقع الخارجي، وللتفرقة بينه وبين " منطق الصورة" الذي يبين القواعد التي يجب مراعاتها في تركيب مقدمات القياس التي يسلم بها الفكر، حتى يفرض عليه نتيجة لا يسعه إلا قبولها وإلا تعارض مع نفسه.[3]

ومن المقرر ان العلوم تتفق جميعها في اتجاهاتها الأساسية ووجهة نظرها إلى الظواهر التي تعالجها والأغراض العامة التي ترمي إليها من وراء دراستها، وتتمثل هذه الأغراض في الكشف عن طبيعة الظواهر وما تخضع له من قوانين، وقد كان لزاما، وهي متفقة في هذه الأمور، أن تتفق في مناهج البحث، ولذلك كان من بين مناهج البحث بعض طرق تستخدم في مختلف فروع العلوم، ويطلق عليها اسم "الطرق العامة" أو " مناهج البحث المشتركة"، ولكن

---

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص99.
[2] معجم العلوم الاجتماعية، تصدير ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص568.
[3] نفس المرجع، ص568.

لكل مجموعة من العلوم، بل لكل فرع من داخل مجموعته، موضوعات معينة وأغراض خاصة تمتاز بها المجموعة عما عداها من المجموعات.[1] ويمتاز بها الفرع عما عداه من الفروع، وقد نجم عن ذلك، أن استخدمت كل مجموعة منها، واستخدم كل فرع من داخل مجموعته زيادة على الطرق العامة التي سبق ذكرها، طرقا خاصة تتفق مع طبيعة الموضوعات، وتدعو إليها مميزات الظواهر وما ترمي إليه من أغراض خاصة، ويطلقون على هذه الطرق اسم "الطرق الخاصة" أو " مناهج البحث الخاصة". ولكل شعبة من شعب العلم الواحد مسائل متميزة قد تختلف في بعض خواصها ومظاهرها عن مسائل الشعب الأخرى، ولذلك نرى أن العلم الواحد قد يستخدم في دراساته لموضوع من موضوعاته طرقا لا يستخدمها ولا ينبغي استخدامها في موضوع آخر من العلم نفسه.[2]

إن طبيعة الدراسة هي التي تحدد المنهج الذي تسلكه، وليس معنى هذا أن تنفرد كل دراسة بمنهج وحيد، بل قد تتعدد المناهج لدراسة موضوع واحد، لأن ذلك التعدد يفرضه مبدأ المرونة المنهجية، الذي يدعونا إلى عدم الإعتماد كلية على منهج وحيد والتقيد به عند دراسة ظاهرة أو مشكلة ما، فقد تصلح عدة مناهج لدراسة موضوع واحد.[3]

وهناك نوعين من المناهج في العلوم الاجتماعية، المناهج الكمية والمناهج الكيفية، ومن المتفق عليه، على مستوى الإجراءات أن نميز في بحوث العلوم الإنسانية بين تلك التي تهدف إلى قياس الظواهر عن تلك التي تسمح بأخذ معطيات كيفية لا يمكن قياسها أو عدها. لهذا تتطلب المناهج الكيفية والكمية

---

[1] معجم العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص568.
[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.
[3] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص160.

مجموعة من الإجراءات المختلفة، أي بتعبير آخر، فإن العلوم الإنسانية تستعمل في دراساتها المناهج الكمية والمناهج الكيفية.[1]

2-أهمية المنهج العلمي:

تظهر أهمية المنهج العلمي في أنه يسمح للباحث للوصول للحقيقة من خلال اتباع منهج محدد من البداية حسب طبيعة الموضوع، فيقول في هذا الصدد **ديكارت** أن المنهج السليم يزيد تدريجيا من معرفة المرء، ويرفعها إلى أعلى مستوى يمكن أن تصل إليه خلال بدائية الذهن البشري وقصر العمر الإنساني.

أما الباحث **فاضلي إدريس** فيقول أن التفكير المنظم، هو الذي يركز على مجموعة من المبادئ تربط الحادث بالسبب، وتقوم على استحالة تأثير الشيء ونقيضه في آن واحد، وهي خطوة في تعميق العقلية العلمية وتحفيز الفكر الخلاق..من أجل اكتساب القدرة على الاكتشاف والاستيعاب والتفسير الفهم.[2]

3-العمليات الأساسية في المنهج العلمي

3-1الاستقراء:

يعد الاستقراء من العمليات الهامة في المنهج العلمي؛ لأهميته البارزة لدى الباحثين والمفكرين، حيث اعتبره البعض مرادفا للمنهج العلمي؛ فهو آلية ضرورية في الوصول إلى المعرفة العلمية المضبوطة، وقد استعمله أرسطو في بادئ الأمر في بحثه عن دلالة المنطق،" ، فعرّف حسبه بمعنى" انتقال الطالب من الجزئي إلى الكلي، ويرى البعض الآخر أن أرسطو كان يعني به إيراد الأمثلة التي تقوم دليلا على صدق نتيجة عامة"[3]ومع توالي المفكرين والفلاسفة، أخذ ينفصل عن الفلسفة، ليصبح آلية ينتهجها الباحث في

---

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص100.
[2] إدريس فاضلي، الوجيز في المنهجية والبحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص10.
[3]-محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، مؤسسة شباب الجامعة، دط، دس، ص27.

الوصول إلى نتائج لكل ظاهرة أو موضوع يبحث فيه؛ من خلال استقراء الظواهر وملاحظتها وتحليلها وتفسيرها عن طريق الاستقراء." ويتم ذلك من خلال الانتقال من الشواهد الجزئية إلى الحكم الكلي"[1] ولكي يصل الباحث إلى هذا الحكم الكلي وإلى نتيجة أعم مما تناوله في مقدمة بحثه، وجب عليه الاسترسال في فهم الجزئيات وتحليلها حتى يتم تعميمها على الجزء الكلي للدراسة، ليصل في النهاية إلى معرفة علمية دقيقة تتميز بها منهجية الاستقراء كونها تبحث في تفاصيل الظواهر وفق نظرة علمية شمولية؛ لارتكازها على الملاحظة والتجربة في دراسة الظواهر.

والاستقراء نوعان هما الاستقراء التام والاستقراء الناقص:

1-الاستقراء التام: وهو عملية إحصاء تامة للظواهر المدرجة في البحث، من خلال جمع الأمثلة الجزئية عنها؛ بهدف الوصول لنظرة شمولية نصل بها للحكم الكلي على الظاهرة وتعميم النتيجة.

2-الاستقراء الناقص: وهو عكس الاستقراء التام، حيث يرتكز على بعض الجزئيات ليقوم بإصدار أحكام عامة على الظاهرة المدروسة، رغم عدم احتمالية صحة نتائجه، لعدم التأكد من صدق الجزئيات التي أدرج البحث عليها.

3-2الاستنباط:

يقترب الاستنباط من مفهوم الاستدلال، فهو يعتبر جزء منه، أو شكلا من أشكاله، والاستنباط معاكس للاستقراء، فالأخير ينطلق من الجزئيات إلى الكليات في حين أن الاستنباط يتخذ من الحكم العام للظاهرة ليعممه على باقي الأجزاء، وهو بذلك ينطلق من حكم أو مكتسبات قبلية أو معرفة مسبقة يقوم من خلالها باستنباط النتائج وفق الأفكار

[1]-عبد الرحمن هبيدات وعبد الحق كابد، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، حقوق الطبع محفوظة للناشر، ص32.

المستوحاة من الدراسة وليس من الواقع المجرب، أي يستند على المعرفة العقلية وليس التجربة العلمية.

3-3-التحليل والتركيب:

يعد التحليل من بين الأساليب الهامة في منهجية البحث العلمي، باعتبارها عملية أساسية في تفكيك الموضوع المراد معالجته والبحث فيه. ولقد اتكأت معظم البحوث ونظريات علم الاجتماع على عملية التحليل؛ فباستخدام ألية التحليل يصل الباحث إلى فهم موضوعه ومعالجته؛ من خلال" تقسيم المشكلة المطروحة للحل إلى أجزاء بسيطة؛ صغرى وكبرى بحيث يمكن فهمها"[1]، ومن ثم محاولة تقسيمها حسب كل فصل ومبحث ومطلب. ويساعد التحليل أيضا في رصد البيانات أثناء استخدامه للتحليل الاحصائي. ولا شك في أن لكل منهج أسلوب تحليل وبحث، لذا وجب على الباحث تحديد المنهج المراد اتباعه، وشرح أو تفسير أسباب اختياره له؛ لأن التحليل العقلي يختلف عن التحليل المادي، فالأول يعتمد على عزل الأشياء ذهنيا وفصلها عن بعضها البعض لمقاربتها وفق الرؤية التحليلية النقدية والمنطقية، في حين أن التحليل المادي يقوم بعزل أجزائه عن الواقع الخارجي مثل تحليل الأوكسجين مثلا أو ذرات الكربون.

أما التركيب فهو يقترب من التحليل باعتباره عملية عقلية، فهو مكمل للتحليل موافق له أي " هو الشق المكمل للتحليل أو هو العملية المقابلة له، ويستخدم في حالتين: الأولى للبرهنة على مشروعية التحليل وسلامته، كالتحقيق التجريبي، فالقانون يأخذ صورة قاعدة أو مبدأ، والتركيب يستخدم لإعادة بناء الظاهرة في إطار هذه القاعدة، أما في الحالة الثانية **فهو يتمثل** في عملية للعرض والتعميم في نفس الوقت. مثال ذلك كتب الرياضيات فهي تبدأ بعملية فردية مبسطة لتتجه إلى التعقيد تدريجيا حتى تصل إلى أعم الحالات"[2].

---

[1]-ابراهيم أبرش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق، الأردن، ط1، 2009، ص70.
[2]-محمد محمد قاسم، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999، ص46.

ويعني ذلك أن للتركيب أسلوبين تحليليين في استدراج الحلول والوصول إليها، فالأولى يستند على البرهنة للوصول لسلامة تحليلها للمواضيع الهامة، والثانية ترتكز على العرض والتعميم فتبدأ من الجزء إلى الأعم، ومن التيسير إلى التفكيك، ويتم ذلك بعد جمع أجزاء الدراسة حسب أولويتها ومن ثم أهميتها وفق ترتيب تدريجي يوصل إلى نتائج واضحة ومقنعة بعد أن تم دراسة كل جزء على حدة ومحاولة ربطه بغيره للوصول إلى ما تم الاتفاق عليه بعد تحليله وتركيبه وتقديم رؤية جامعة وشاملة عنه. وتكمن أهمية التركيب في إعادة التركيب نفسها، فهي تؤدي إلى اكتشاف مركبات جديدة، فبعد أن يتم تجميع الأجزاء وترتيبها ووضع المقارنات بينها سيكون هناك استجلاء لمقاربات جديدة ومختلفة تصنع الفارق عن الدراسات المتداولة والمكررة.

3-4-التجربة والتجريب:

يعتبر التجريب مرحلة أساسية من مراحل منهجية البحث العلمي؛ ولذلك لفاعليته في تقديم حلول ونتائج، قامت على تجارب للظاهرة المدروسة، من حيث مدى صلاحيتها ويتم ذلك من خلال طرح الأسئلة العميقة التي تمس صلب الموضوع، وتقييم ذلك من خلال الملاحظة الدقيقة والتحليل الهادف، وملاحظة مدى فاعلية التجربة على أرض الواقع؛ لأن الهدف من التجريب هو الوصول للدقة العلمية والتجربة الحقيقية. وقد يلجأ الباحث للتجريب حين لا تتوفر له البيانات الازمة، التي تساعده في الوصول إلى نتائج تخدم هدف بحثه"[1]. ويعتمد على التجريب في دراسة موضوع ما في العلوم الاجتماعية حسب طبيعة الموضوع واتساعه ومجال انشغاله، فهناك تجارب طويلة المدى وأخرى قصيرة، وهناك من تعتمد على تجارب واقعية ملموسة وأخرى افتراضية تحليلة، وأخرى تخص أفرادا معينين أو جماعات مختلفة تعمم عليها النتائج في محاولة للوصول إلى نتائج متقاربة تخدم طبيعة الموضوع وفق التجربة التي استنبط منها طريقة المعالجة" فقد عولت

[1]-رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، حقوق الطبع للمؤلف، المسيلة، ط1، 2002، ص159.

الدراسات الاجتماعية كثيرا على المنهج التجريبي، من قبل الباحثين لاعتماده على خاصيتين في غاية الأهمية هما التحليل والتركيب"[1]

3-5-التفسير:

لا يخلوا منهج علمي من آلية التفسير، فهي تعتبر الخطوة الأهم في شرح الموضوع واستجلاء ما صعب منه، وكشف ما هو مضمر فيه، وأيضا تقديم إضافة للموضوع، فمن خلال التفسير تتضح الرؤية، "أي العلاقة بين متغيرات الظاهرة الواحدة، وتعمل على توضيح تلك العلاقة من خلال إبراز نقاط الاختلاف بين مختلف الظواهر"[2]، وهو نوع من المقارنة بين النصوص وبين المفاهيم والتعاريف؛ لمعرفة الرابط الذي يجمعها أو الميزة والاختلاف الذي يتعين إظهاره أو مناقشته لإثراء البحث العلمي المعتمد عليه وفق نظرة علمية تحليلية تعكس ثقافة الباحث ورؤيته التحليلية لتفسير المتغير المستقل أو التابع؛ وتحديد مدى تأثير أحدهما على الآخر، ومنه يستكشف الباحث معرفة جديدة، بحسب الفرضيات التي وضعها في تفسيره للظاهرة المدروسة. وتؤكد الدراسات والأبحاث على أهمية التفسير في العلوم الإنسانية؛ لأن الاعتماد على الفهم دون التفسير يترك البحث مبهما وغير قابل للتحديد واستخراج النتائج ومنه الوقوع في التقصير، مما يترك خيبة في أفق توقع القارئ وفتورا وعدم إعطاء مصداقية للبحث العلمي.

3-6-التجريد:

يعرف التجريد لغة بأنه انتزاع الشيء عن غيره، أو إزالة ما عليه من رواسب وقشور لاستجلاء العمق منه، أي التركيز على شيء معين في وسط مجموعة من الأمور المختلفة، وهو يعتبر بذلك عملية إدراكية توجه نحو أمر معين قصد فهمه وتحليله، ويعرف أيضا بأنه" صفة ملازمة للعمل، ويقصد بها تحويل خصائص الظواهر والأشياء إلى أفكار

[1]-محمد محمد القاسم، مرجع سابق، ص134.
[2]-رشيد زرواتي، مرجع سابق، ص230.

ومفاهيم ذهنية تدرك بالعقل لا بالحواس"[1] أي أن التجريد يعتمد على مهارة عقلية ودقة ملاحظة لمعرفة خصائص ذلك الشيء. كما يشرح برتراند راسل فكرة التجريد بقوله: إن العقل العلمي لا يعالج الأشياء الموجودة في الواقع من حيث هي كذلك وإنما من حيث ان لها خواص معينة. فنحن حين نتكلم عن المكان أو الحركة فليس ما نتكلم عنه هو المكان الفعلي أو الحركة كما نعرفه في التجربة بل نتكلم عن شيء له تلك الخواص العامة المجردة للمكان والحركة"[2]

3-7-التنظيم:

البحث العلمي يجد قبوله وانتشاره وفق طريقة تنظيمه وترتيبه، بحيث تكون مواضيعه مترابطة مع بعضها البعض وفق ترتيب تزامني وفكري، يتناسب مع طبيعة الموضوع المتناول. وتكمن أهمية التنظيم بأنها تعطي نظرة شمولية لحقائق البحث وتعكس مدى جاهزية الباحث لتأدية موضوعه وتنسيقه.

3-8-التعميم:

ونقصد به تعميم النتائج الجزئية إلى نتيجة كلية، أي الانتقال من الحكم الجزئي إلى الحكم الكلي، عن طريق دراسة العينة بكل أجزائها المختلفة ثم تعميم النتائج على المجتمع الأصلي، بشرط أن تكون تلك النتائج المتواصل إليها متوافقة مع أجزاء الموضوع ومنطقية في تعميمها لحقيقة النتائج المقترحة" أي أن الباحث يعمم النتائج التي توصل إليها، كخلاصة للبحث العلمي، لتصبح تلك القوانين تخضع لحالات مشابهة، وهذه التعميمات تفيد الانتقال من المعلوم إلى المجهول"[3]

---

[1]-إبراهيم أبرش، مرجع سابق، ص40.
[2]-المرجع نفسه، ص41.
[3]-إبراهيم أبرش، مرجع سابق، ص41.

3-9-الفهم:

إن فهم التعاريف أو المواضيع بصورة مغلوطة أو مبالغ فيها قد يؤدي إلى خروج عن حقيقة الموضوع وإطاره المدرج في البحث، فبرغم أن الفهم يعد عملية ذهنية ضرورية في تفسير الظواهر فإن التسرع في فهمها والحكم عليها قد يؤدي إلى مغالطات نظرية،" فكل نظرية اليوم ترتكز على مفهمة معينة، وفقدان الدقة في التعريفات متكرر لسوء الحظ في العلوم الاجتماعية"[1] لأن اليوم ومع انتشار المعلومات والنظريات وتزايد المعرفة العلمية أصبحت المواضيع الإنسانية متقاربة ومتشعبة في تحليلها وتعريفها للظواهر الاجتماعية المدروسة، لذلك يتطلب الفهم دقة ملاحظة واستبصارا معرفيا جادا، يستقرئ فيه الباحث المعرفة المتواجدة أمامه بنوع من الحذر والتروي في طريقة استيعابه وفهمه لها.

4-العناصر الأساسية في المنهج العلمي

4-1-الوسائل والادوات

4-1-1-المقابلة أو الاستبار الشخصي: تعتبر المقابلة من أكثر وسائل الحصول على البيانات شيوعا، ويتوقف نجاحها على مستوى التخطيط لها من جهة وعلى الكيفية التي تتبع في تسجيل المعلومات والبيانات التي تسفر عنها المقابلة من جهة أخرى، كما يمكن عن طريق المقابلة جمع البيانات مباشرة من المبحوث والتعرف عن قرب على صورة النفس البشرية، بمختلف مشاعرها واتجاهاتها، الأمر الذي يصعب التعرف عليه عن طريق الوسائل

[1]-مادلين غراويتز، مناهج العلوم الاجتماعية، تر: عمار سام، المركز العربي للتعريب والترجمة، دمشق، ط1، 1993، ص172.

الأخرى لجمع البيانات، فضلا عن ضرورة استخدام المقابلة، كأداة رئيسية في مجتمعات المبحوثين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة.[1]

والمقابلة أو الاستبار ليست منهجا، وإنما هي أداة من أدوات جمع المعلومات، وهي ليست أداة منفصلة عن الأدوات الأخرى، بل هي أداة إضافية تضاف إلى الأدوات التكنيكية الأخرى، ولفظة استبار مشتقة من فعل استبر وسبر، واستبر الجرح أو البئر أو الماء، أي امتحن غوره ليعرف مقداره، واستبر الأمر أي جربه واختبره.

وتقوم المقابلة أو الاستبار على الاتصال الشخصي والاجتماع وجها لوجه بين الباحث والمبحوثين كل منهم على حدة، ويجمع منهم المعلومات عن طريق أسئلة تلقيها السائل (الباحث) لمعرفة رأي المجيب (المبحوث) في موضوع محدد بالذات، أو للكشف عن اتجاهاتهم الفكرية ومعتقداتهم الدينية، ومن ثم تكون المقابلة في ذاتها هي تبادل لفظي بين السائل والمجيب، أو انها على حد تعبير (وليام جود) عملية من عمليات التفاعل الاجتماعي.[2]

4-1-2-تعريف المقابلة: تعرف المقابلة على أنها: "تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الشخص القائم بالمقابلة أن يستشير معلومات أو آراء أو معتقدات شخص آخر أو أشخاص آخرين للحصول على بعض البينات الموضوعية". وتستخدم المقابلة في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها من خلال الدراسة النظرية أو المكتبية، كما تستخدم في البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو الملاحظة أو الوثائق والسجلات الإدارية أو الإحصاءات الرسمية، وتجري المقابلة في شكل

[1] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص ص 172-173.
[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص78.

حوار (حديث) مع المبحوث في موضوع البحث، ويشترط أن يكون الحوار مبوب ومنظم ومسير من طرف الباحث، كما يفضل أن يقوم الباحث بتسجيل ملاحظات المبحوث وآرائه حول موضوع البحث.[1]

ويبدأ الباحث في المقابلة بأن يوجه أسئلة عامة، ثم يركز تدريجيا على محور الاهتمام، فيضيق من نطاق الأسئلة، حتى يتمكن من الحصول على المعلومات النوعية والخاصة رويدا رويدا، ومن الأهمية بمكان أن يحاول الباحث الحصول على المعلومات بطريقة تتميز بالتسلسل الزمني ويتم ذلك بمطالبة المبحوث بأن يستعرض ماضي حياته مبتدءا من الماضي ومنتهيا بالحاضر أو بالعكس، ويمكن للباحث كذلك أن يحصل على المعلومات من مصادر ثانوية كالمخبرين الذين لديهم معرفة كاملة بتغير الظروف الاجتماعية، أو الذين على اتصال وثيق بالأفراد أو الجماعات موضوع الدراسة.[2] ذلك أن الباحث قد يرغب في الحصول على معلومات إضافية أو يتحقق مما حصل عليه من معلومات من الأفراد أو الجماعات موضوع الدراسة، مما يمكن من تحليل الحقائق وتتم عملية التحقق كما يذكر مير كوماروسكي Mira Komarowisky عن طريق الآتي:

أ-يسأل الباحث المقابل الفرد عن التفاصيل الخاصة بحياته، وطبيعة هذه التفاصيل، مما يمكنه من مراجعة وتحقيق تفصيلات أخرى قد كان حصل عليها.

ب-تمكن الباحث من معرفة التغيرات التي تطرأ على العلاقات الاجتماعية، أو ظهور ظاهرة جديدة.

[1] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص148.
[2] حسين عبد الحميد أحمد رشون، المرجع السابق، ص ص 78-79.

ج-تمكن الباحث من معرفة العلاقات السببية بين ظاهرة تعتبر سببا وظاهرة أخرى تعتبر ناتجا أو سببا.

وتظهر أهمية المقابلة في أنها تؤكد على المعلومات والبيانات الكيفية، وحين أن طبيعة البحث تقتضي بأن يقارن الباحث بين طريقتي الملاحظة والمقابلة، مما يساعد الباحث في الحصول على صورة الشخصيات الإنسانية والخلفية الاجتماعية، والدوافع والاتجاهات والرغبات التي تؤثر في السلوك، كذلك فإن طريقة المقابلة الشخصية تعد أداة هامة في حصول الباحث على معلومات تتعلق بالماضي والذكريات وخطط المستقبل، إذ لا يمكن الحصول على هذه البيانات باستخدام الوسائل الآلية أو الملاحظة.[1]

ولا تقتصر المقابلة على التبادل اللفظي بين السائل والمجيب، بل تشمل كذلك عنصر ملاحظة الظواهر الحركية والتعبيرية، فهي تساعد الباحث على الوقوف مثلا على سعادة الزوجين فيما يتعلق بأبحاث الأسرة، وترى **(بياتريس وب)** أن المقابلة أو الاستبار، تعادل أنبوبة الاختبار التي يستخدمها الكيميائي في معمله أو الميكروسكوب الذي يستخدمه البكتربولوجي في اكتشافاته.

وتعتبر هذه الطريقة من أحسن الطرق خاصة إذا كانت نسبة الأمية مرتفعة في المجتمع المبحوث، وبالمقابلة يمكن الاسترسال في طبيعة الأسئلة والتعمق بدرجة تسمح له بالكشف عن دوافع ومشاعر واتجاهات وعقائد ورغبات المبحوثين.

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 79-80.

وتختلف المقابلة حسب مدى العمق الذي تستهدف الوصول إليه، فبعض الأبحاث تدور حول العمليات السوسيونفسية، وبعضها يعتمد على الجانب العاطفي.[1]

4-1-3-محاور المقابلة: تشمل المقابلة المحاور التي خصصت لهم المقابلة في موضوع البحث، وتكون هذه المحاور في علاقة وثيقة بعنوان البحث والإشكالية والفرضيات والمؤشرات والوحدات والعناصر وخطة البحث، كما تكون المحاور مقسمة تحت عناوين تبعا لخطة أو لفرضيات البحث.

4-1-4-أنواع المقابلة:

***المقابلة المقننة:** وفيها يضع الباحث أسئلة كل محور في المقابلة.

***المقابلة غير المقننة:** وفيها يضع الباحث أسئلة المحاور، إذ لا يقيد الحديث ولكن فقط يحدد محاور الحديث عن الموضوع.[2]

ويخضع اختيار المقابلة المقننة أو الغير مقننة إلى طبيعة الموضوع، فهناك الموضوع المحدد وغير المتشعب الذي يستطيع الباحث فهم جميع أبعاده، وبالتالي حصرها في أسئلة، وعليه فهو بحاجة إلى المقابلة المقننة، ولكن هناك الموضوع الذي لا يستطيع الباحث حصر أبعاده، ولذلك يترك الحديث مفتوحا، وبالتالي فهو بحاجة إلى المقابلة الغير مقننة.

4-1-5-طرق المقابلة:

***المقابلة غير المباشرة:** وفيها يجري الباحث مقابلته مع المبحوث عن طريق الهاتف أو الاتصال الآلي (الانترنت).

---

[1] حسين عبد الحميد رشوان، المرجع السابق، ص ص 80-81.
[2] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص149.

***المقابلة المباشرة:** وفيها يلتقي الباحث مع المبحوث مباشرة، ويتم الحوار مباشرة.

4-2-6-مميزات المقابلة: عموما ما تكون المقابلة مع عدد قليل من الأفراد، كما تتميز بإعطاء حرية الحديث للمبحوث، والوقت الكافي، وحرية الحديث لا تعني أن يتكلم المبحوث كما يشاء، ولكن يجب أن تكون المقابلة مضبوطة ومحددة بدقة وخاصة بالمحاور المخصصة لهم المقابلة، وعلى الباحث مراقبة وتوجيه حديث المبحوث لمحاور المقابلة، كما يجب عليه ايضا مراقبة وتوجيه الوقت النافع الذي يخدم محاور المقابلة وهدف البحث.[1]

4-1-7-عيوب المقابلة: يؤخذ على طريقة المقابلة البطء، فهي تحتاج إلى وقت طويل ومجهود شاق للوصول إلى البيانات اللازمة بالإضافة إلى التكاليف، كذلك فإن الباحث يعاني من التصورات والذكريات الكاذبة للمبحوث، وتصور إدراكه، وجهله في مسائل الحساب وغيرها.[2]

إلا أن من أبرز عيوب المقابلة، التحيز الذي قد يجنح بالباحث نحو قضية ما، فيوجه المقابلة لجمع الحقائق التي تؤكدها بصرف النظر عن تلك التي تنفيها، كذلك تتطلب الوقت والجهد الكبيرين الذي يتطلبه تدريب الباحثين والاشراف عليهم خلالها.

[1] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص149.
[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص81.

4-2-استمارة البحث:

تعتبر استمارة البحث أقل وسائل جمع البيانات تكلفة، كما يمكن الحصول عن طريقها على بيانات عدد كبير من الأفراد وبأقل وقت وجهد ممكنين، بالإضافة إلى سهولة تقنينها أكثر من أية وسيلة أخرى.[1]

4-2-1-تعريف استمارة البحث: تعرف الاستمارة بأنها: "نموذج يضم مجموعة أسئلة توجه إلى الأفراد من أجل الحصول على معلومات حول موضوع أو مشكلة أو موقف، ويتم تنفيذ الاستمارة إما عن طريق المقابلة الشخصية أو أن ترسل إلى المبحوثين عن طريق البريد". كما تعرف بأنها مجموعة أسئلة، بعضها مفتوحة مثل: ما هو مستواك التعليمي؟ وبعضها مغلقة مثل: هل تابعت أي نوع من التعليم؟ نعم ☐ لا ☐ وبعضها الآخر أسئلة تصنيفية مفتوحة مثل: ما هو مستواك التعليمي؟ لا شيء ☐ أساسي ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐ تكوين مهني ☐ آخر.....

وتستخدم الاستمارة لجمع البيانات الميدانية التي تعسّر جمعها عن طريق أدوات جمع البيانات الأخرى.[2]

ويجب أن تغطي أسئلة الاستمارة جميع محاور البحث، إذا كانت استخدمت كأداة بحث وحدها، وقد تخصص لبعض محاور البحث، وبعض المحاور الأخرى، تندرج في أدوات بحث أخرى كالمقابلة والملاحظة والوثائق السجلات الإدارية.

[1] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص173.
[2] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص123.

وتتميز الاستمارة بأنها حيادية، فإذا كانت أسئلتها مستقلة، تسمى بالاستمارة، وأما إذا أتت في المقابلة فتدعى استمارة الاستبيان، وأما إذا جاءت في الملاحظة فتدعى باستمارة الاستبار.[1]

ومن أجل التمكن من فهم موضوع إستمارة البحث، يجب أن تحدد الفروق بين بعض المصطلحات الأساسية، فمصطلح الاستبيان Questionnaire يشير إلى أداة أو وسيلة لجمع البيانات عبارة عن استمارة للبحث تضم عددا من الأسئلة يطلب من المبحوث أن يجيب عليها بنفسه، وقد ترسل هذه القائمة من الأسئلة على المبحوثين عن طريق البريد، وتسمى في هذه الحالة الاستبيان البريدي، ويقصد باستمارة المقابلة، قائمة الأسئلة التي يقوم الباحث باستيفاء بياناتها من خلال مقابلة تتم بين الباحث والمبحوث، أي أنها تتضمن موقف المواجهة المباشرة، كما هناك ما يسمى باسم دليل المقابلة وهو مجموعة من النقاط أو الموضوعات التي يجب على القائم بالمقابلة أن يغطيها مع المبحوث خلال الحوار الذي يعقده معه، ويسمح في هذه الحالة بدرجة عالية من المرونة، في الطريقة والصياغة والترتيب.[2] الذي تخضع له الأسئلة التي يوجهها الباحث للمبحوث، وهذه الأنواع الثلاثة من أدوات البحث الاجتماعي، تشترك في خاصية عامة وهي أنها تتضمن عددا من الأسئلة المرتبطة منطقيا بمشكلة معينة تخضع للبحث والدراسة، ولا تتخذ هذه الأسئلة بالطبع شكلا واحدا، وإنما يمكننا التفرقة بين هذه الأسئلة على أساس أن الاستبيان واستمارة المقابلة، يستخدمان عادة أسئلة محددة البناء بينما يستخدم دليل المقابلة أسئلة غير محددة البناء.

---

[1] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص123.

[2] محمد علي محمد، **علم الاجتماع والمنهج العلمي، دراسة في طرائق البحث وأساليبه**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص ص 795-796.

ويجب أن يراعى في صياغة أسئلة الاستمارة شرطين أساسيين، الشرط الأول هو ملاءمة كل سؤال لمشكلة البحث، ثم ارتباط الأسئلة بعضها ببعض لكي تشكل بناءا متكاملا لاستمارة بحث، يصلح للحصول على المعلومات المطلوبة.[1]

كما أن هناك الاستمارة البريدية التي يرسل الباحث الاستمارة عبر البريد للمبحوث، فيملأها ويرجعها للباحث عبر البريد.

واستمارة أخرى عن طريق الهاتف، حيث يقوم الباحث بملأ الاستمارة عن طريق الهاتف، فيطرح له السؤال، ويكتب الجواب.

وأخيرا هناك استمارة عن طريق شبكة الاعلام الآلي (الانترنت) إذ يقوم الباحث بالاتصال بالمبحوث عن طريق شبكة الاعلام الآلي ويملأ استمارة بحثه.[2]

هكذا يمثل إعداد استمارة البحث في البحوث الاجتماعية التي تستخدم هذه الأداة عملا أساسيا، ومهمة تفكر فيها هيئة البحث منذ اللحظة التي تبدأ عملية تخطيط البحث، ويستمر التفكير في هذه النقطة حتى تحين لحظة التفرغ لصياغة الاستمارة واختبارها والتحقق من صلاحيتها ومن الخطأ البالغ البدء في البحث بوضع استمارة لجمع البيانات كما يفعل ذلك بعض الدارسين، الذين يعتقدون أن جمع معلومات ميدانية هو كل ما يحتاجه البحث، إذ أن ذلك يسفر دائما عن معلومات سطحية لا صلة لها بالموضوع المدروس، ذلك أن العناصر والأسئلة التي تشملها إستمارة البحث، توضع لتعكس أفكارا نظرية معينة استخلصها الباحث من استيعابه الشامل للتراث العلمي في الموضوع

[1] محمد علي محمد، المرجع السابق، ص796.
[2] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص ص 125-126.

الذي يدرسه، ثم يترجم الباحث هذه العناصر إلى أسئلة، ويحدد علاقة هذه الأسئلة بمشكلة البحث، والارتباط بينها، ثم يحدد نطاق الاستمارة، ويختبرها ليتعرف على مدى صلاحية الأسئلة وملاءمتها، ثم يقوم بتدريب الباحثين الميدانيين على تطبيقها وهكذا.

4-2-2-القواعد المنهجية لبناء استمارة البحث: يحتاج تصميم استمارة البحث، إلى عناية فائقة، إذ تعتمد عليه مدى صحة النتائج ودقتها، ويتطلب ذلك دراسة واسعة، وإلماما تاما بأوضاع جمهور البحث، ولهذا يجب مراعاة بعض القواعد عند بناء الاستمارة، منها ما يتصل بشكلها وتنسيقها، ومنها ما يتعلق بصياغة الأسئلة وأنواعها، والبيانات المطلوبة، ورغم أن تصميم الاستمارة يختلف باختلاف موضوع البحث، إلا أن هناك بعض الأسس والقواعد العامة نوجزها فيما يلي:

أ-**تحديد إطار البحث:** إطار البحث هو سلسلة من الأسئلة التي يوجهها الباحث نفسه حول موضوع البحث، ويتعين وضع هذا الإطار قبل تصميم الاستمارة، حيث ينقسم الموضوع أو الظاهرة أو المشكلة المدروسة إلى موضوعات وظواهر ومشكلات فرعية، وكل مشكلة فرعية إلى عدة نقاط، فإذا كنا بصدد وضع إطار البحث عن قضاء وقت الفراغ بين العمال، فإن علينا أن نقسم البحث إلى مشكلات فرعية تشمل: صفات العامل الأساسية، والعادات والتقاليد وبناء الأسرة وخدمات وقت الفراغ في العمل، وطول وقت الفراغ ومواعيده، وكيفية قضاء وقت الفراغ، والمستوى التعليمي....الخ

ثم يتفرع كل موضوع من هذه الموضوعات إلى نقاط أخرى جزئية، وبذلك يضمن الباحث معالجة جميع المسائل المتصلة بالبحث، كما أن ذلك من شأنه أن يجنب الباحث التعرض لموضوعات ليست بذات أهمية، ويعتمد تحديد إطار

البحث على هذا النحو، على استعراض وتلخيص كل التراث العلمي المتصل بالمشكلة المدروسة، سواء في الكتب أو المراجع أو الدوريات العلمية، أو الأبحاث السابقة، أو النشرات الرسمية التي تصدر عن بعض الهيئات.[1]

ب-تصميم الجداول الخيالية: لا يعتبر الإطار كافيا لمساعدة الباحث في صياغة الأسئلة اللازمة للاستمارة، إذ لابد للباحث أن يحصر كل المعلومات المطلوبة، وأن يتصور النتائج الفعلية المتوقع الحصول عليها في شكل جداول صماء قبل بدء البحث وهذه الطريقة الدقيقة توصله إلى الأسئلة ذات الدلالة وإلى تحديد الارتباطات بين المتغيرات على نحو يمكنه من وضع خطة التحليل الاحصائي اللازمة.[2]

ج-الأسئلة التي تشملها الاستمارة: لكي يستطيع الباحث تحديد الأسئلة التي سوف تتضمنها الاستمارة، يجب أن يحصر البيانات التي يحتاجها، هل هي من النوع الذي يتصل بالحقائق، أم مضمونها التأكد من المعتقدات والاتجاهات، أم تهدف إلى التعرف على أنماط السلوك والعلاقات المتبادلة والأسئلة نوعان فإما أن تحصر جميع الإجابات المحتملة وتكتب أمام السؤال فيوم الباحث أو أفراد البحث بوضع علامة على الإجابات المناسبة، وهذه هي الأسئلة المقفولة أو المغلقة، مثل تحديد الإجابة عن السؤال عن الحالة التعليمية بالفئات التالية (أمي-يقرأ ويكتب-تعليم متوسط-تعليم ثانوي-تعليم عال).

ولهذا النوع من الأسئلة مزايا وعيوب، فمن مزاياه أن تحديد الإجابات المحتملة يضمن للباحث توحيد الإجابات، ولا يتكلف أفراد البحث مشقة الكتابة، فكل ما تتطلبه الإجابة هو وضع علامة أمام الاحتمال المناسب لها، ويمكن ترميز

[1] محمد علي محمد، المرجع السابق، ص ص 801-802.
[2] نفس المرجع، ص802.

الإجابات وتحليلها آليا بسهولة، ثم قلة التكاليف والسرعة في الحصول على الإجابات ومن عيوب هذه الطريقة أن تحديد الإجابات المحتملة من وجهة نظر الباحث قد يوحي لبعض أفراد البحث باختيار إحدى الحالات على أنها الإجابة الصحيحة رغم مخالفتها لما يعتقدون أنه الإجابة الصحيحة، وقد يختلف المعنى المقصود بالسؤال في ذهن بعض أفراد البحث عن المعنى الذي يقصده الباحث ويحدد إجابات محتملة له، هذه الإجابات المحتملة قد لا تعطي معلومات كافية عن الرأي الصحيح، يضاف إلى ذلك أن من بين الاحتمالات التي توضع فئة "لا أعرف" وهذه يجدها كثير من أفراد البحث هي الاجابة الصحيحة التي لا تكلفهم مشقة التفكير في غيرها، وفي هذا ضياع لجزء من المعلومات التي قد تكون مفيدة للباحث.[1]

أما النوع الثاني من الأسئلة، فهو ما يعرف بالأسئلة المفتوحة النهائية وفيه يترك لأفراد البحث الحرية في تحديد الإجابات المناسبة للأسئلة الملقاة عليهم ومن مزايا هذه الطريقة، أنها تعطي فراد البحث صورة واضحة دقيقة لما يعتقدون أنه الإجابة الصحيحة، كما تكون إجابة الأفراد في حدود الإطار الذي يرسمونه لأنفسهم لما تتطلبه الإجابة على السؤال ويضاف إلى ذلك أن أفراد البحث يعبرون عن آرائهم بحرية مطلقة، ويجدون أمامهم وقتا كافيا للإجابة.

وتتلخص عيوب هذه الطريقة، في أنها تحتاج إلى وقت أطول من أفراد البحث، وجهد أكبر قد يدعو إلى المال، وخاصة في حالة استخدام الاستبيان البريدي، قد لا تمكن هذه الطريقة الباحث من المقارنة بين بعض الإجابات التي يتوقعها في ضوء هدف البحث فتكون الإجابات غير موحدة، مما يجعل عملية الترميز والتحليل الاحصائي صعبة، وتحتاج هذه الطريقة إلى جهد كبير

[1] محمد علي محمد، المرجع السابق، ص ص 803-804.

في تصنيف البيانات إلى فئات، عادة ما يستخدم من أجل ذلك مجموعة من الباحثين.[1] وقد يفتح ذلك مجالا للتحيز وفي ضوء ذلك تستخدم بعض الأسئلة التي تسمح بالاحتفاظ بمميزات كل من الأسئلة المقفولة والأسئلة المفتوحة النهاية، فيحدد الباحث احتمالات الإجابة المتوقعة أمام السؤال ويترك في النهاية فرصة لاحتمالات أخرى وذلك بكتابة عبارة (أخرى أذكرها).[2]

د-صياغة الأسئلة: هناك مجموعة شروط يجب مراعاتها عند صياغة الأسئلة التي تتضمنها استمارة البحث وهذه الشروط هي:

1-يجب أن تكون الأسئلة بسيطة وواضحة وبعيدة عن التعقيد اللفظي، بحيث لا تقبل اللبس أو إساءة الفهم، وينصح بعض الباحثين بأن تكتب الاستمارة "بلغة الحياة اليومية" كنوع من التبسيط.

2-يجب أن تصاغ الأسئلة، لكي تكون إجابتها قاطعة وبسيطة بقدر الإمكان، كأن تكون الإجابة بنعم أو بلا.

3-أن يراعى في صياغة الأسئلة ألا تتطلب من المجيبين إجراء عمليات حسابية مطولة، تستدعي ذاكرة حادة، أو مجهودا فكريا شاقا.

4-ألا تكون الأسئلة محرجة أو تمس جوانب حساسة مما يعتبره تدخلا في أمور شخصية.

5-ألا تكون الأسئلة من النوع الإيجابي، أي التي توحي للمبحوث بإجابات معينة.[3]

6-ألا تكون الأسئلة ذات إجابة بديهية معروفة بدون إلقاء السؤال.

---

[1] محمد علي محمد، المرجع السابق، ص804.
[2] نفس المرجع، ص804.
[3] نفس المرجع، ص ص 804-805.

7-يجب أن تحاشى الأسئلة التي تدفع المبحوث للكذب أو الادعاء.

8-يجب أن لا تشتمل الأسئلة على أكثر من نقطة واحدة، فإن كان الباحث يريد السؤال عن شيئين فيستحسن وضعها في سؤالين متتاليين.

9-تضاف أسئلة لا يقصد الإجابة عليها لذاتها، بل للتأكد من دقة بعض الإجابات ويمكن لتحقيق ذلك تكرار بعض الأسئلة بصيغ مختلفة، وتسمى هذه الأسئلة بأسئلة المراجعة.

10-غالبا ما يراعى عند ترتيب الأسئلة التدرج من العام إلى الخاص ويسمى بالترتيب القمعي.[1]

ه-شكل الاستمارة وتنسيقها: يجب أن يكون حجم الاستمارة مناسبا، ونوع الورق جيدا يتحمل الكتابة ولونه مقبولا، والطباعة جيدة وسهلة القراءة، كما يوضع على غلاف الاستمارة موضوع البحث واسم الهيئة المشرفة عليه، وما يفيد سرية البيانات، أما التنسيق الداخلي للاستمارة فيجب ترتيب الأسئلة ترتيبا منطقيا يراعى فيه التسلسل والعلاقات بينها، كما يجب تقسيم الأسئلة إلى مجموعات متجانسة توضع لها عناوين فرعية وتترك أمكنة كافية للإجابة، حتى لا يضطر أفراد البحث إلى الإجابة على ورقة منفصلة، كما ينبغي مراعاة التنفيذ الآلي لتحليل البيانات في حالة الأبحاث الكبيرة التي تستخدم فيها الآلات الإحصائية ولذلك يجب وضع دليل رقمي code لإجابات كل سؤال.[2]

[1] محمد علي محمد، المرجع السابق، ص ص 805-806.
[2] نفس المرجع، ص806.

5-خطوات المنهج العلمي

يتمثل الاتجاه العلمي في خطوات يهتدى بها الباحث في بحثه ومهما يكم من أمر، فإن خطوات البحث العلمي هما بدت متمايزة مستقلة، فإن طبيعة المشكلة قد تملي بعض التغيرات في ترتيب خطوات البحث، وفي أهمية كل خطوة منها بالنسبة إلى باقي الخطوات حسب ما تقتضيه كل مشكلة من جهته، والظروف التي يعمل الباحث في ظلها من جهة أخرى، وعندما يفكر الباحث في نوع المشكلة التي سيبحثها، قد يفكر أيا في إمكانية حلها، وفي يمكن أن يعتمد عليه من وسائل وأدوات.[1]

وفي الواقع فإنه لا يصح أن نفترض أن خطوات التفكير العلمي تتلو الواحدة الأخرى بترتيب زمني ثابت بحيث تستقل فيه كل خطوة عن غيرها من الخطوات أو بحيث تحقق كل خطوة فيه جانبا معينا من جوانب البحث ونترك بقية الجوانب الأخرى، فواقع الأمر أن هذه الخطوات تتم متلازمة كوحدة متكاملة، حتى وإن برزت خطوة من هذه الخطوات عن باقي الخطوات في كل مرحلة زمنية من مراحل البحث وهذا يعني أننا عند تحليلنا لعملية التفكير في شكل خطوات وإنما نقصد فقط إلقاء الضوء على طريقة التفكير في البحث من زواياه المختلفة، ولا نقصد أن تكون هذه العملية مجزأة.[2]

وسوف تتم في هذه المطبوعة دراسة ثلاث خطوات أساسية من خطوات البحث العلمي وهي الملاحظة تحديد مشكلة البحث، وصياغة الفرضيات.

5-1-الملاحظة: لقد جرت العادة قبل شروع المرء في أي نشاط أو اتخاذ الموقف الذي يناسبه، أن يستعد له ذهنيا حتى يضمن النجاح فيه لاحقا.

---

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص39.
[2] نفس المرجع، ص39.

فعند جلوسه مثلا أمام مقود السيارة، فهو مطالب بالحذر قبل الانطلاق، كما يعتبر التركيز ضروري بالنسبة إلى الطالب امام ورقة الامتحان.

بالمثل يتطلب النشاط العلمي هو الآخر تحضيرا ذهنيا، ذلك لأنه لا يمكن اعتبار العلم مجرد مجموعة من المعارف التي ينبغي نقلها، بل هو إضافة إلى ذلك نشاط منتج للمعرفة عن طريق البحوث والدراسات، إن الموقف والاستعدادات الذهنية الخاصة بهذا النشاط، والتي ينبغي أن يتميز بها كل باحث علمي، نسميها بالروح العلمية، إذا كان هناك ما يسمى بالروح الرياضية التي تتميز بها النشاطات البدنية والرياضية عموما، هناك أيضا الروح العلمية التي ينبغي أن تتشبع بها نشاطات البحث.

فالملاحظة والمساءلة والاستدلال والمنهج والتفتح الذهني والموضوعية وغيرها من الخصائص الأخرى التي تتميز بها الروح العلمية، تكون في مجموعها تلك المكاسب التي تسمح بممارسة البحث العلمي بنجاح.[1]

ما هو الدافع إلى الملاحظة؟ ما الذي يغذيها؟ إنها في البداية، الفضولية، التي تعني في العلم عدم السرية، بل هي مرادفة للرغبة الإيجابية في الاطلاع والتي يشعر بها كل شخص ولكن بدرجات، ثم تأتي بعد ذلك العناية والاهتمام اللذين يحملهما المرء تجاه الكائنات والأشياء التي تحيط به، وهذا المعنى، فإن الروح الملاحظة هي روح الفضولية.[2]

ويهتدي كل منا في سلوكه اليومي، بما يلاحظه من ظواهر في محيط حياته، فالطفل في نشأته الاجتماعية، يتعلم ملاحظة ما يدر حوله من أحداث، وما يدور على وجوه المحيطين من تغييرات، فرئيس العمل مثلا يلاحظ سلوك

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص30.
[2] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص31.

مرءوسيه وهكذا، ولقد اشتغل الكتاب والشعراء منذ أقم العصور بوصف ما يشاهدونه.[1]

5-1-1-تعريف الملاحظة: تعتبر الملاحظة إحدى أدوات جمع البيانات وتستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليه عن طريق الدراسة النظرية أو المكتبية، كما تستخدم في البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة أو الوثائق والسجلات الإدارية أو الإحصاءات الرسمية والتقارير أو التجريب، ويمكن للباحث أن تبويب الملاحظة، وتسجيل ما يلاحظه ن المبحوث سواء كان كلاما أو سلوكا.

5-1-2-محاور الملاحظة: تخصص الملاحظة للمحاور التي جعلت لهم في موضوع البحث ولكون هذه المحاور في علاقة وثيقة بعنوان البحث والاشكالية والفرضيات والمؤشرات والوحدات والعناصر وخطة البحث، كما تكون المحاور مصنفة في عناوين تبعا لخطة أو لفرضيات البحث.[2]

ويقصد بالملاحظة هنا، ملاحظة الظواهر من خلال الصورة التي تبدو عليها في الطبيعة، وفي نطاق تخصص العلم الذي تستخدم في إطاره الملاحظة، فلو كانت الملاحظة في نطاق علم الفلك، لاهتم بظواهر تخص حركة كل من الأرض والنجم والشمس والقمر وما إليها.

أما إذا كانت الملاحظة في مجال الكيمياء أو الطبيعيات، فإن موضوع الملاحظة سوف يكون بغير شك متعلق بخواص المادة وما يطرأ عليها من تأثيرات وما تحدثه هي من آثار مختلفة سواء بالنسبة لذاتها أو من خلال اتحادها مع غيرها من المواد.

---

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص66.
[2] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص153.

أما إذا كانت الملاحظة في نطاق علم النفس، فلا شك أن السلوك البشري من حيث أسبابه ودوافعه وتطوراته المختلفة، سيكون هو موضوع الملاحظة في هذه الحالة.

أما بالنسبة لعلم الاجتماع، فإن موضوع الملاحظة هنا هو المجتمع بكل ما يضمه ذلك المجتمع من أفراد وجماعات ومجتمعات وعلاقات ونظم وظواهر ومشكلات.[1]

5-1-3-أنواع الملاحظة:

***الملاحظة البسيطة:** ويقصد بها ملاحظة الظواهر، كما تحدث تلقائيا في ظروفها العادية دون إخضاعها للضبط العلمي، وبدون استخدام أدوات دقيقة للقياس بغية الدقة في الملاحظة والتحلي بالموضوعية، وفيها يلاحظ الباحث بعض الظواهر المتعلقة بالمحاور المخصصة لهم الملاحظة.[2]

كما يسمى هذا النوع من الملاحظة بالملاحظة غير المقصودة، وهي تلك الملاحظة التي كانت تهدف في الأصل إلى التعرف على مختلف خواص ظاهرة ما ولكن لسبب أو لآخر وجد الباحث نفسه ينحرف بملاحظته نحو ظاهرة أخرى لم تكن في حسبانه أصلا، أو قد لا يعدو الأمر أن الصدفة لعبت دورا كبيرا في لفت انتباه الباحث وتوجيه نظره ليلاحظ ظاهرة ما فرضت نفسها عليه كشيء طارئ، والأمثلة على ذلك كثيرة، على امتداد تاريخ العلم ولعل من أشهرها تفاحة نيوتن التي قادته من خلال الملاحظة إلى اكتشاف قانون الجاذبية، وتجربة بافلوف التي كان يهتم خلالها بدراسة عملية الهضم

[1] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص ص 140-141.
[2] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص154.

لدى الكلاب الجائعة، وانتهت به ملاحظته إلى ما يعرف في علم النفس بنظرية "الفعل العكسي الشرطي".[1]

***الملاحظ المقصودة:** هي تلك الملاحظة التي يلجأ إليها الباحث بغرض الوصول إلى كتشاف مختلف العلاقات والنتائج بين الظاهرة موضوع الملاحظة وبين غيرها من الظواهر أو بغرض التعرف على مختلف أبعاد وصلات وعلاقات الظاهرة المبحوثة في حد ذاتها.

***الملاحظة المنظمة أو العلمية:** هي الملاحظة التي تراعي مختلف قواعد العلم بحيث تتم بمعرفة متخصصين في إطار تخصصهم وتنطلق نحو هدف محدد هو استنباط الفروض ومن ثم إجراء التجارب المعينة وصولا إلى استنتاج للنظريات والقوانين العلمية.[2]

كما أن مفهوم الملاحظة العلمية، يعني استعانة الملاحظ بمختلف تكنولوجيا العصر التي تهيء له أكبر قدر ممكن من الضبط والدقة في ملاحظة ما يلاحظه خاصة إذا كانت الملاحظة تقع في دائرة العلوم الطبيعية وبعض العلوم الإنسانية التي بلغت حد الأس به في التجريب لاسيما علم النفس.[3]

5-1-4-طرق الملاحظة:

***الملاحظة بدون المشاركة:** وفيها يلاحظ الباحث عينة بحثه بطريقة غير مباشرة، وبدون أن يشارك أعضاء عينة البحث في عملهم، فالباحث عضو خارج عينة البحث، يلاحظ من بعيد، وفي وقت قصير، فالملاحظة بهذه الطريقة لا تدوم شهور أوسنين.

---

[1] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص142.
[2] نفس المرجع، ص141.
[3] نفس المرجع، ص142.

***الملاحظة بالمشاركة:** وفيها يندمج الباحث مع عنة بحثه، ويصبح مصاحبا لهم في معظم الأوقات أي أنه يلاحظ سلوكهم في موضوع بحثه وهو يشاركهم أيضا بقية أعمالهم وقضاء أوقاتهم، وقد تدوم الملاحظة بالمشاركة أشهر أو سنوات، كأن يعمل الباحث أو يدرس مع عينة بحثه.[1]

***الملاحظة المباشرة:** تنصب هذه الملاحظة على الظواهر الحاضرة التي نستطيع أن نشاهدها، وهي لا تتضمن أكثر من الاستماع لموقف اجتماعي معين، وتحدث تلقائيا في الظروف الطبيعية دون إخضاع الموضوع الملاحظ للضبط، وبغير استخدام الأدوات الدقيقة للقياس للتأكد من دقة الملاحظة وموضوعيتها، وتستخدم الملاحظة المباشرة في ملاحظة أوجه النشاط التي يمارسها طلبة مدرسة من المدارس أو أنواع العلاقات التي تقوم بها جماعة من العمال في أحد المصانع، ومن مميزات الملاحظة المباشرة أنها تمكن البحث من التسجيل المباشر عقب السلوك الملاحظ، بحيث لا يتدخل عامل الذاكرة كما أن الملاحظة المباشرة مكن الباحث من جمع بيانات لا يمكن الحصول عليها إلا بهذه الطريقة وذلك كسلوك الأطفال واتجاهاتهم ومشاعرهم وهنا يظهر الفارق بين طريقة المباشرة، وبين عمل المؤرخ الذي يكتفي غالبا بجمع المعلومات عن طريق الوثائق المكتوبة أو ما يرويه الرواة.

وليست مهمة علم الاجتماع الذي يجمع المعلومات بنفسه بمهمة سهلة فهي تحتاج إلى أن يلم بلغة المجتمع الذي يبحثه، فمعرفته بلغتهم تعينه على فهم عواطفهم وأفكارهم، ويجب على الباحث كذلك أن يكون ملما بتاريخ المجتمع الذي يبحثه، وأن يسبق البحث إقامة طويلة في ذلك المجتمع حتى يكون على اختلاط تام وصلة وثيقة بالأفراد والجماعات، ويتضح من ذلك، أن الملاحظات

[1] رشيد زواتي، المرجع السابق، ص ص 154-155.

العابرة ولنظرات السريعة التي يجمعها السياح والمسافرون لا قيمة لها في البحث العلمي.[1]

وللملاحظة المباشرة عيوب منها: صعوبة تنبؤ الباحث بحدوث سلوك معين حتى يتمكن من ملاحظته، فإذا كان الباحث يدرس الأنماط السلوكية والثقافية في مجتمع ما، فقد لا تتاح له فرصة ملاحظة مواقف معينة كتهديد المجتمع بحريق، أو ظهور مرض معدي..الخ، كذلك لا يمكن للباحث أن يلاحظ ملاحظة مباشرة وقائع حدثت في الماضي، كما أن الباحث لا يتمكن من دراسة الخلافات العائلية أو السلوك الجنسي.[2]

***الملاحظة غير المباشرة:** تتعلق بكل ما كتب عن موضوع البحث من قبل، فإذا كان موضوع البحث العلاقة بين السينما وانتشار الجريمة، فإن على الباحث أن يطلع على أهم ما كتب عن السينما كظاهرة اجتماعية وأهم ما كتب عن الجريمة في محيط الشباب.

كما تستخدم طريقة الملاحظة غير المباشرة، فيما يتعلق بالظواهر التي كانت سائدة في العصور الماضية، وسيستعين الباحث في ذلك بالوثائق.

وهناك ثلاثة أنواع من الوثائق: الأول ما يصلنا عن طريق الرواية الشفوية، والثاني ما يصلنا عن طريق الملاحظات المكتوبة والنشرات الإحصائية، والبحوث العلمية والخطابات أو المذكرات الشخصية وغرها، والثالث ما يصلنا عن طريق ما يكتشف من آثار العصور الغابرة.[3]

---

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 3-74.
[2] نفس المرجع، ص74.
[3] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص74.

***طريقة التسجيل:** يتميز أي مجتمع حضري بوجود أجهزة متخصصة على المستوى الحكومي أو الأهلي محلية أو قومية يتوفر لديها سجلات تتضمن التشريعات والأحكام القضائية والوثائق والدساتير والقوانين، وقوائم الضرائب والسجلات الصحية والرياضية والترويحية بأقسام التربية الرياضية المختلفة، والإحصاءات التعليمية المتعلقة بعدد الطلاب وسجلات المنظمات المهنية، كذلك فإن الحكومات بما لديها من قوة إلزامية تستطيع أن تجبر مواطنيها على الإبلاغ عن حالات المواليد والوفيات والزواج والطلاق، ومن ثم فهناك الإحصاءات الخاصة بالسكان، وهناك كذلك، الإحصاءات المتعلقة بالجريمة، وتبين أنواع الجرائم وعدد المقبوض عليهم في كل منها، كما أن هناك سجلات لضمان الاجتماعي وما يتضمنه ممن يستحقون الضمان الاجتماعي وهناك سجلات الخدمة الوطنية العسكرية وهي تبين عدد الذين أتموا الخدة العسكرية ومن أعفوا منها.

ويستطيع الباحث أن يستفيد من هذه الإحصاءات جميعها.[1].

5-2-تحديد مشكلة البحث: إن أول مرحلة في البحث في مرحلة التعريف بالمشكلة، ففي ميدان البحث نسمي مشكلة كل ما يثير مساءلة لا غنى عن دراستها، وتتضمن هذه المرحلة صياغة مشكلة البحث، إن الأمر يتعلق إذن بتحديد المشكلة وضبطها بهدف تحديد جوانبها المختلفة، ووضعها في إطار مسعاها التفكيري، وباختصار فإن صياغة المشكلة تقود إلى طرح السؤال المتعلق بالواقع الذي نريد دراسته أو معرفته.

ثم، ومادام كل بحث يهتم لاحقا بالتحقق في الواقع من التساؤلات المطروحة، يمر الباحث بالضرورة إلى عملياتية المشكلة.

[1] نفس المرجع، ص77.

إن العملياتية أو الإجرائية هي تحديد المشكلة بأسلوب يسمح بالتحقيق أو التقصي الميداني، أي في الواقع.[1]

ويعد اختيار موضوع البحث أو تحديد المشكلة، جزءا رئيسيا في البحث، وليس اختيار موضوع البحث العلمي شيئا هينا، إذ لابد للباحث من ثقافة واسعة كي يهتدي إلى بحث علمي، ولذلك كان ناشئة الباحثين يجدون صعوبة في اختيار موضوعات بحوثهم، وكثيرا ما يلجأون إلى بعض الباحثين وبخاصة من أساتذة الجامعات ليدلوهم على موضوعات يبحثونها، وهي طريقة خطرة، إذ قد يدلهم هؤلاء الباحثون على موضوعات لا تتفق وميولهم الحقيقية، فيتعثرون فيها وقلما يحسنونها.[2]

ومن البديهي أن الموضوع الذي يختاره الباحث، يجب أن يكون في صميم دراسة الباحث وتخصصه، لأن هذا التخصص يضيء له السبيل التي تساعده على التعمق في البحث وعلى التجديد وعلى الابتكار.

وترتبط مشكلة البحث بموقف غامض أو يعتريه شك، أو ظاهرة تحتاج إلى تفسير، أو قضية اختلفت فيها وجهات النظر، ثم تدور عملية البحث في جوهرها حول جمع الحقائق والمعلومات التي تساعد على إزالة الغموض الذي يحيط بالظاهرة والوصل إلى تفسيرات علمية تتعلق بموضوع الدراسة.

ويتوقف اختيار موضوع البحث على مدى أهمية الموضوع والحاجة إليه، وعلى توفر البيانات اللآزمة، والوقت اللآزم لإظهار الحقائق وكذلك على الموارد المالية المخصصة لموضوع البحث.

---

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص ص 83-84.
[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص40.

وعلى الباحث أن يحدد إطار الموضوع الذي يختاره، بحيث لا يكون ضيقا إلى درجة التفاهة، ومما يصعب معه توفر المراجع اللآزمة، وأن لا يكون متسعا إتساعا يصعب دراسته.[1]

ويمكن أن يتأثر ذلك بأن يختار الباحث بادئ ذي بدء، موضوعات منوعة من الفروع التي يدرسها، ويمكن أن يبحث موضوعا عاما، ثم يتدرج الباحث فيختار جزءا محددا من الموضوع العام المشار إليه، ثم يتدرج كذلك إلى نقطة أكثر تحديدا.

فإذا كان البحث متخصصا في موضوع الأدب مثلا، فيجب أن يحدد نفسه إزاء العصر الذي يدرسه، فيختار منه جانبا أو شخصا بعينه، أما إذا اختار العصر برمته، فإن ذلك يئول به إلى أن يضبط الموضوع في بدء لاتساع ساحاته الزمانية، ولنفترض أنه اختار العصر الجاهلي، فإنه سيجد نفسه داخل غابات ملتفة، لا يعرف كيف النفوذ منها، إذ سيضطر إلى التعمق في تاريخ الجزيرة العربية القديم وشئون حياتها الاجتماعية والمعيشية والدينية، والتعمق في رواية الشعر الجاهلي وتدوينه ومعرفة خصائصه وأعلامه النابهين وسماتهم الغنية، ومن ثم كان على الباحث أن يختار من هذا العصر شاعرا مثلا مثل أمرئ القيس أو زهير أو النابغة، وحتى في اختياره للشاعر، ينبغي أن يثير فيه مباحث لم يسبقه إليها أحد.[2]

أما في مجال علم الاجتماع من العسير مثلا، أن نقول أننا سندرس "التصنيع" أو " الأسرة" أو " القرية"، إذ لابد من تحديد نطاق المشكلة وتوضيح طبيعة العلاقات التي ستكشف عليها الدراسة العلمية، وعموما يتأثر اختيار موضوع

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 40-41.
[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 42-43.

البحث عن طريق العوامل الذاتية، فالخبرات السابقة للباحث، وميولاته العلمية، وميدان تخصصه وتفضيلاته وقيمه من العوامل العامة التي ترسم الإطار العام لموضوع البحث، كذلك يتأثر اختيار الموضوع عن طريق فكرة أو تصور أو حدس أو ظن أو على أساس الملاحظة الميدانية أو بالرجوع إلى المصادر المختلفة في ميادين الأدب والفلسفة والشعر، وكل ما كتب في العلم موضوع الدراسة والنظريات التي توصل عليها العلماء، وكذلك الدراسات والأبحاث السابقة، ذلك أن الدراسات النواتية والدراسات السابقة في حاجة إلى استمرارية، وإعادة البحث.[1]

ويتضمن اختيار الموضوع وضع عنوان لموضوع البحث، ويجب أن يكون عنوان البحث طريفا ممتعا جذابا قصيرا بقدر الإمكان، وواضحا كل الوضوح، وشاملا للمحتوى الكامل والدقيق لجزئيات البحث وتفاصيله بحيث لا يتسع ولا يضيق عن أبواب وفصول البحث وقد وضع **Bigelow** قاعدة هي أن يشمل العنوان من المعلومات ما يدفع باحثا آخر أن يبحث عن هذه المعلومات تحت هذا العنوان ويقرر **د.ابراهيم سلامة** أن العنوان يشبه اللافتة ذات السهم الموضوعة في مكان لترشد السائرين حتى يصلوا إلى أهدافهم، وعلى هذا فالعنوان يجب أن يدل القارئ على ما يحويه البحث أو الرسالة.

ويتضمن اختيار موضوع البحث وضع خطة تشمل المشكلات الرئيسية التي تتفرع عن هذا الموضوع، وكل مشكلة من المشكلات الرئيسية تسمى بابا وتنقسم كل مشكلة من هذه المشكلات الرئيسية إلى مشكلات فرعية كل منها يسمى فصلا، وقد ينقسم الموضوع إلى بابين الباب الأول نظري والباب الثاني ميداني أو تطبيقي، ويتقسم كل باب منهما إلى فصول، كذلك من الممكن تقسيم

[1] نفس المرجع، ص43.

الموضوع إلى فصول، ويشتمل كل فصل منها إلى مبحثين، مبحث نظري ومبحث ميداني أو تطبيقي.[1]

ويعطي كل باب وفصل منها عنوانا تنطبق عليه نفس الشروط التي وردت في عنوان البحث.

وينبغي أن ترتب الأبواب والفصول، بحيث تكون مسلسلة تسلسلا زمنيا أو مكانيا، أو حسب الأهمية، أو تكون مترابطة ترابطا منطقيا على أن يشتمل الفصل الأول المفاهيم والمصطلحات الخاصة بالبحث أو بمعنى آخر تعريف المصطلحات المستخدمة، بحيث لا يحدث أي اختلاف في فهمها، أما الفصل الثاني فيشمل الاتجاهات النظرية والدراسات السابقة، وهي التي سوف تمد الباحث بالفروض والمتغيرات المستخدمة، وقد يسبق هذان الفصلان، فصل يتناول إطار الدراسة.[2]

وعلى الباحث أن يحدد الأهداف المراد حقيقها من بحثه تحديدا دقيقا، فغموض الهدف وعدم تحديده يجعل الباحث يتخبط في بحثه، ويضيع من وقته كما يجب على الباحث أن يحدد المنهج أو المناهج التي سيتبعها باختياره، منها ما يتناسب مع طبيعة موضوع الدراسة من ناحية، وما يتلاءم مع أسلوب البحث المتبع من جهة أخرى، وما يتلاءم مع الظروف الاجتماعية والنفسية والبيولوجية والتاريخية التي تسيطر على الظاهرة موضوع الدراسة، وأن يحدد الأدوات التي ستمكنه من تحقيق أهدافه والتي سيستخدمها في تجميع المادة من قياس وتحليل الحقائق والمقابلة والملاحظة، والروابط بين هذه الأدوات.[3]

---

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 43-44.
[2] نفس المرجع، ص44.
[3] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص44.

وعلى الباحث كذلك أن يقف على الإمكانيات سواء من الناحية المادية أو الفنية أو البشرية والامكانيات المالية إما أن تكون في صورة كتب ومراجع وتسهيلات ميدانية وإمكانية نشر نتائج البحث بصورة يمكن الاستفادة منها نظريا أو علميا، وقد تكون في صورة تحديد طريقة تفريغ البيانات، ففي البحوث التي تعتمد على دراسة عينات كبيرة لا يتيسر تفريغ البيانات بالطريقة اليدوية ولهذا يستخدم التفريغ الآلي، أما الإمكانيات البشرية فتتمثل في مدى توفير الباحثين المدربين لإجراء البحث، ويجب على الباحث كذلك أن يضع خطة زمنية محددة، توضح مراحل تحديد المشكلة وصياغة الفروض، ثم إعداد الأدوات واختبارها، والتدريب على جمع البيانات والتحليل والتفسير، واستخلاص النتائج، وكتابة التقرير وعرضه ونشره.[1]

وأخيرا توضع المراجع وتصنف إلى مراجع أصلية ثم مراجع عربية ثم مراجع أجنبية، وترتب المراجع العربية أبجديا حسب أسماء المؤلفين، أما المراجع الأجنبية فيوضع اسم الشهرة للمؤلف قبل اسمه، مع وضع علامة (و) بين الاسمين ويعطي رقم مسلسل واحد لجميع المراجع.[2]

وهكذا يعد اختيار مشكلة البحث، مرحلة من أهم مراحل البحث الاجتماعي، بحيث يتوقف على الاخيار السليم لموضوع البحث أن يكون لذلك البحث قيمة أولا تكون له قيمة على الاطلاق.[3]

5-3-صياغة الفرضيات: يستهدف الباحث في دراسته الحصول على القوانين والنظريات التي تحكم الظاهرة موضوع الدراسة، ولكي يصل الباحث إلى هذا الهدف، لابد أن يتوفر على عدد من موجهات التجربة، توجه الباحث نحو نوع

---

[1] نفس المرجع، ص44.
[2] نفس المرجع، ص48.
[3] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص206.

الحقائق والبيانات التي يقوم بتجميعها وهي تسمى بالفروض Hypothèses، والتي ينبغي أن تسبق بالضرورة كل بحث علمي، وعمل ميداني ومعملي، وفي هذا يقول أحد الكتاب بما مغزاه: (إنها وجهة نظر سطحية، تلك التي تنادي بأن الحقيقة تكمن في دراسة الحقائق في ذاتها دراسة مباشرة، وترجع سطحية وجهة النظر هذه إلى أن البحث في أي موضوع، لا يتأتى إلا إذا كان هناك شعور مسبق بمشكلة معينة).

وتدل كلمة الفرض حسب أصلها في اللغة الاغريقية، على المبادئ الأولية التي يسلم العقل بصحتها، ولا يستطيع البرهنة عليها بطريقة مباشرة لشهدة عمومها.[1]

5-3-1-تعريف الفرضية: هي عبارة عن فكرة مبدئية، تربط بين الظاهرة موضوع الدراسة والعوامل المرتبطة أو المسببة لها، كما أنها عبارة عن إجابة احتمالية لسؤال مطروح في إشكالية البحث، وتخضع للاختبار، سواء عن طريق الدراسة النظرية، أو عن طريق الدراسة الميدانية، وللفرضية علاقة مباشرة بنتيجة البحث، بمعنى أن الفرضية هي الحل لإشكالية كونت مشكل.[2]

ومن ثم فالفرضية أو الفرض العلمي هو رأي أو أفكار علمية أو نوع من التعميم المؤقت، أو قضية نظرية محتملة وغير محتملة، وهي ليست محققة كلية، ولا مرفوضة كلية، فهي محققة ومقبولة في إطار جوانب معينة، ومرفوضة في جوانب أخرى، ويضع الباحث الغرض تحت الاختيار للتحقق من صدقه وتقرير صحته من عدم صحته، ويسعى إلى تعديل هذه الآراء النظرية في ضوء ما يجمعه من حقائق.

---

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، ص ص 48-49.

[2] رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار هومة، ط1، 2002، ص94.

ويستبين من ذلك أن الغرض يوجه ويحدد البحث التجريبي، وتستند في إطاره مجالات المساعدة والملاحظة منذ البداية، على اعتبار أنه لا يصبح البحث غير مركزا، ويضحى مجرد تحول امبريقي عشوائي وعملية جمع أعمى للمعلومات، إذا ما سجلنا الظواهر دون فرض، ومن ثم ينبغي أن تستند التجربة والملاحظة والدراسة الميدانية وجمع الحقائق إلى فرض نظري نحاول في ضوئه أن نتوصل إلى الصحة واليقين والنتائج والنظريات التي قد تتفق أو لا تتفق مع الفرض.[1]

وهكذا فالفرض هو الصلة الضرورية بين النظرية والفحص، وهو الذي يقود الباحث إلى الاكتشافات والإضافات الجديدة للمعرفة.

وينشغل الباحث بهذه الفروض متأثرا بما تجود به ملاحظاته المباشرة، ونظريات العلم الذي يدرسه وما تثيره من قضايا ومشكلات، ومتأثرا كذلك بالدراسات والبحوث التي ظهرت في موضوع العلم الذي تخصص فيه والتي استخلصت نظريات يعتبرها الباحث فروضا تحت الاختبار عليه أن يختبرها ويتحقق من صحتها.[2]

5-3-2-كيفية استنباط الفرضيات: تستنبط الفرضيات من خلال ما يأتي:

1-الحدس والتخمين، وذلك مرتبط بقدرة الباحث على التخيل.

2-الارتكاز على نتائج بحث أو بحوث سابقة واعتبارها فروضا لبحث جديد.

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص50.
[2] نفس المرجع، ص50.

3-الارتكاز إلى مجموعة من النظريات العلمية واستنباط مجموعة من الفروض من خلال الاستنتاج المنطقي الذي ينتهي إلى التنبؤ بأنه تحت ظروف معينة تظهر نتائج معينة.[1]

5-3-3- شروط الفرضية العلمية:

1-يجب ان تكون الفرضية واضحة ومحددة وخالية من الاسهاب والغموض، وأن المصطلحات المستخدمة، يجب أن تكون واضحة ومترابطة ومتماسكة من ناحية المعنى والأسلوب والصياغة.

2-ينبغي أن تكون الفرضية قابلة للاختبار والفحص والتحليل، لهذا عند صياغة الفروض يجب أن يضع الباحث في الحسبان توفر الأساليب والأدوات التي يمكن استخدامها في قياس هذه الفرضيات.

إضافة إلى ضرورة ارتباط الفرضيات بالنظريات التي سبق إثبات صحتها.

3-يجب أن لا تكون فرضيات البحث الوحد متعارضة ومتناقضة بعضها مع البعض، بل يجب أن تكون منسجمة ومترابطة وتشكل وحدة متكاملة تسير في خط واحد وواضح.

4-يجب أن لا يعتمد الباحث على فرضية واحدة، خصوصا في الدراسات الاجتماعية والنفسية، بل يجب أن يعتمد على عدد مقبول من الفروض التي يمكن فحصها وتحليلها واستخلاص النتائج منها.[2]

5- ينبغي أن تخدم الفرضيات أغراضا متعددة، أهمها تحديد الإطار الفكري والنظري للباحث ورسم الخطوات المنهجية للبحث واختيار الأساليب

[1] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص208.
[2] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص96.

الإحصائية التي تستخدم في تفسير وتحليل وتعليل البيانات، كما يجب أن تسمح الفروض بتحديد الهيكل العام الذي يستخدمه الباحث في تقديم النتائج النهائية لبحثه العلمي.[1]

هذا وللفروض ثلاث وظائف رئيسية هي كالتالي:

1-توجيه الباحث نحو البيانات اللآزم الحصول عليها بما يمكنه من إيجاد إجابات لمشكلة بحثه أو تيسر له تفسيرات مقنعة لها.

2-تمكن الباحث من ترتيب البيانات المتوافرة لديه ترتيبا منطقيا وبطريقة سليمة، تفيده أثناء بحثه أو تيسر له تفسيرات مقنعة لها.

3-تساعد الباحث على أن يحدد مجال بحثه وأن يضعه في إطار مناسب لإمكانياته.[2]

5-3-4-أنواع الفرضيات:

*الفرضية الوصفية

*الفرضية التفسيرية.

*الفرضيات ذات متغير واحد والفرضيات ذات المتغيرات العديدة.

5-3-5-صيغة الفرضيات:

1-الفرضيات ذات الصيغة الاثباتية، مثل: كلما زادت وتيرة النمو الصناعي في المدن زادت الهجرة من الريف إلى المدينة.

[1] نفس المرجع، ص ص 94-95.
[2] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص208.

2-الفرضيات ذات الصيغة الاستفهامية، مثل هل زيادة وتيرة النمو الصناعي بالمدن يؤثر على زيادة الهجرة من الريف إلى المدينة؟

3-الفرضيات ذات الصيغة الاجتماعية، مثل: يمكن أن تؤدي زيادة وتيرة النمو الصناعي بالمدن إلى زيادة الهجرة من الريف إلى المدينة.

5-3-6-الفرضية العامة والفرضيات الفرعية:

1-الفرضية العامة: هي عبارة عن تفسير احتمالي شامل للظاهرة، وعندما تثبت امام التجربة وتتحقق صحتها، فإنها تصبح في شكل نظرية للبحث تفسر الظاهرة التي كان بها إشكال وسببت مشكل.

2-الفرضيات الفرعية: هي عبارة عن عناصر فرعية للفرضية العامة، وعندما تثبت أمام التجربة، وتتحقق صحتها، فإنها تصبح قوانين تحكيمية بغية التحكم في الظاهرة.[1]

5-3-7-أهمية الفرضيات: لفرضيات البحث أهمية كبيرة، إذ تعتبر الفرضيات ومؤشراتها الركائز الأساسية في رسم الخطوط العريضة للبحث في محاور الإشكالية، وعندما يقوم الباحث بصياغة فرضيات بحثه، فكأنه يقول: "ينبغي عليّ أن أبحث في هذا الاتجاه". ثم إن للفرضية عدة أهداف كأن تكشف عن حالة في الميدان يسودها الغموض، وأيضا تفسير جميع الأبعاد التي تحيط بها، والتي لم تكن معروفة من قبل، ويتم تحقيق أهداف الفرضية من خلال تحقيق المؤشرات والوحدات والعناصر الإجرائية. [2]

[1] رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص ص 96-97.
[2] نفس المرجع، ص97.

6-مراحل تكون المنهج العلمي

سعى الإنسان منذ وجوده إلى حب الاستطلاع، واكتشاف حقيقة الطبيعة والأشياء حوله، فاستعان في البداية بحواسه الخمس، وحدسه الفطري، في معرفة كنه الأشياء والدلالة عليها. ومع تطور الحياة واختلاف أساليب العيش فيها، وظهور الثورة الصناعية، دفع ذلك إلى البحث عن آليات منهجية يتبين من خلالها صحة معارفه، وينظمها وفق ترسانة من المناهج العلمية والآليات المعرفية، ليتقصى فيما بعد حقيقة الواقع ويجد ما يضمن له صدق التجربة، من خلال الملاحظة أو التفسير أو غيرها من الأدوات المنهجية. ولأن مسار العلوم الاجتماعية والإنسانية متقارب في اهتماماته، مختلف بعض الشيء في مرجعياته وطريقة تناوله، سنبحث معا تطور البحث العلمي في عصوره الثلاث القديمة والوسطى والحديثة، ليتضح لنا جليا مسار التحول الفكري والانتقال من البحث التقليدي إلى مسار الثورة العلمية التي أسست لقواعد وأسس خاصة بالمنهج العلمي.

6-1-في العصور القديمة:

ارتبط العصر القديم بالحضارة اليونانية الاغريقية، والرومانية، والبابلية، والمصرية، باعتبارها أقدم الحضارات وأولها من حيث شغفهم في البحث واكتشافهم للعلوم الهندسية وعلم الفلك والجبر والفيزياء وغيرها من العلوم التي لاتزال آثارها إلى اليوم منقوشة في الكهوف وفي الأحجار وفي الأهرامات والمخطوطات القديمة، حيث كان القدامى يعتمدون على الطبيعة في تأملاتهم العقلية وما يحيط بها من شمس وأقمار وكواكب ونجوم يستمدون منها اكتشافاتهم العلمية كمصدر للمعرفة والخلود.

وقد كانت الحضارة اليونانية والرومانية السباقة لتطبيق المنهج العلمي والبحث الجاد في تحصيل المعرفة وفق الدراسين والمؤرخين، ذلك أن الحضارة الرومانية اهتمت بالمعرفة العلمية وحاولت تطبيقها على المنهج العلمي، بالرغم من أنهم استفادوا من الحضارات الأخرى وبشكل خاص من الحضارة الفرعونية والبابلية. " فقد اهتم اليونانيون بالمدارس

العلمية وكان من أهم علمائها طليس، وفيتاغورس وتلميذه هيبوقراط وأفلاطون الذي أسس الأكاديمية الأفلاطونية التي كانت تهتم بجميع فروع المعرفة وأرسطو الذي كان في مقدمة العلماء الذين ابتكروا بذور البحث العلمي في اليونان القديمة، حيث وضع المنهج القياسي أو الاستدلالي، وفطن إلى الاستقراء، كما دعا إلى الاستعانة بالملاحظة"[1] كما كانت له محاورات مع أفلاطون ناقشوا من خلالها دور الملاحظة والتفسير والاستقراء في اكتساب المعرفة ودار جدال علمي بينهما حول أسبقية أي من هذه الأدوات الفكرية في استنباط الحقائق العلمية واستنتاجها. إلى جانب الفكر العلمي لدى الرومان حيث اقتصر اهتمامهم على الممارسة العلمية دون البحث الجاد عن سبل المعرفة ذاتها.

6-2-العصور الوسطى:

وهي العصور الظلامية التي شهدها الغرب، حيث كان الفقر والجهل يعم القارة الأوروبية، فيما كانت الحضارة العربية الإسلامية تشهد ازدهارا علميا ومعرفيا، في شتى الميادين والمجالات، فكانت مطمح المفكرين ومطمع الكثيرين" وشهدت في هذه القرون الأربعة من العصر الوسيط بين القرنين العاشر والحادي عشر ازدهارا علميا بلغ فيه الفكر العربي أوجه، حيث ظهر عدد من العلماء والفلاسفة والمؤرخين في العالم الإسلامي، " فلم يقفوا عند حدود العلم النظري، بل تابعوا المنهج حتى وصول به إلى التطبيق، ومن هنا تم علمهم بالموضوعية والمنهجية"[2] وتركوا آثارهم العلمية والمعرفية التي نقلها الغرب فيما بعد، واستعانوا بها في تطوير فكرهم الغربي وبنوا منها حضارتهم المعاصرة وجراء ذلك "وضع توما الأكويني مدرسته، وقام روجر بيكون بالدعوة إلى بناء العلم على التجربة والخبرة الطويلة"[3] ثم شهد الغرب بعد ذلك تحولات جذرية بفعل الثورة التكنولوجية وظهور الطباعة وانتشار الفن والفكر والأدب في إيطاليا بداية عصر النهضة. حيث ظهر الدور البارز للفنان ليوناردو دافنشي، فاكتشف نظرية السطح المائل وتصادم الأجسام

---

[1]- رجاء وحيد دريدوي، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العملية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000، ص58.
[2]-العلم والبحث العلمي، مرجع سابق، ص20.
[3]رجاء وحيد، مرجع سابق، ص59.-

والإحتكاك، كما ظهرت الاكتشفات في علم الفلك، وفي القرن السابع عشر ظهرت حركات علمية في العلوم التجريبية على أيدي غاليليه وديكارت ونيوتن"[1] حيث ظهرت معهم بوادر الثورة العلمية الممنهجة التي استلهموا منها فيما بعد أساليب التجربة والتحليل والاستنباط.

6-3-العصر الحديث:

وهو العصر الذي شهد انفجارا علميا وانفتاحا معرفيا في جميع أنحاء أوروبا، عرف بعصر النهضة، بدء من إيطاليا لينتشر بعدها في أنحاء أوروبا قاطبة، وظهرت بوادر الأفكار العلمية تزدهر على يد مجموعة من المفكرين منهم جون ستيوارت ميل وكلود بيرنارد وفرنسيس بيكون"[2] كما مهدت لظهور علم الاجتماع ثورتين عظيمتين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، إضافة إلى الثورة الفرنسية 1789 التي جسدت انتصار الأفكار والقيم العلمانية لقيم الحرية والعدلة.

وفي نفس السياق اتجه الغرب إلى الانفتاح على مؤلفات العرب، فتعلموا العربية واستأنسوا بعلومها التي شكلت ثروتهم الفكرية، ما أدى إلى ازدهار العلم في الغرب، فوسمت تلك الفترة وما تبعها بعصور الفكر والتنوير، واجتاحت موجة علمية ارتكزت على الأساس المنهجي في تقييم العلوم بدء من عصر النهضة، حيث "انتقلت من معالم المنطق الأرسطي القديم الذي كان يدرس علاقة الفكر بنفسه من خلال اللغة، إلى منطق العلوم الحديثة التي تدرس علاقة الفكر بالأشياء، وهو ما أوضح الفروقات بينهما، فالمنطق الأرسطي شكلي، في حين أن منطق المنهج العلمي الحديث، موضوعي ونسبي وخاص"[3] ومن هنا بدأ المنهج العلمي يتجه صوب العلمية والاصلاحية، وبرز في العلوم الطبيعية، لينتقا فيما بعد إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، بفضل عدد من العلماء والباحثين.

---

[1]-حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص22

[2]-رجاء وحيد ديدروي، مرجع سابق، ص60.

[3]-إبراهيم أبراش، مرجع سابق، ص68.

6-4-اسهامات المسلمين في البحث العلمي:

رغم عدم ذكر جهود الباحثين العرب في ميادين البحث العلمي والمنهج العلمي بشكل خاص، ودورهم الفعال في ذلك، وتنكروا لأصالته العربية، إلا أن العرب كانوا السباقين إلى اكتشاف البحث العلمي وأصدق دليل على ذلك ما جاء في القران الكريم" لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" فقد أسست العقدية الإسلامية على منهج علمي دقيق؛ يوصل للمعرفة الحقيقية عن طريق الأدلة والبراهين، فكان المنهج معيارا حقيقيا لتتبع سيرورة النص القرآني والعلوم الشرعية وصدق أدلتها.

وامتدت جهودهم إلى التراث اليوناني وفلسفته، فقاموا بتنقيحه ودراسته، بين قبول ورفض وتعديل ونقد... فقاموا بشرحه وتفسيره، واستنبطوا منه معارف جديدة تمخضت عن مولد فكر جديد، فخطوا خطوات جبارة في فهم المنطق الأرسطي ونقده، وهذا ما ظهر جليا فيما بعد في العصر الحديث، حين تخلى الفكر الغربي عن المنطق الأرسطي الشكلي، ليتبنوا المنطق العلمي المبني على الخصوصية والموضوعية.

انتقلت اسهامات المسلمين من الجبر والهندسة وعلم الفلك والطب والكيمياء، إلى العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وكان من أوائل هؤلاء العلماء الممتازين في الطرح والعميقين في التحليل عبد الرحمن ابن خلدون.

1-عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(1332-1406م)

يعتبر العلامة والمفكر ابن خلدون المؤسس لعلم الاجتماع الحديث في العالم العربي، ليمتد مداه فيما بعد للعالم الغربي، فقد ترك كتابه "مقدمة" ابن خلدون إنجازات عظيمة وروحا معرفية في شتى المجالات التي مست المجتمع والسياسة والحضارات والفنون والاقتصاد... وغيرها. كما أوجد نظريات في العمران وعلاقتها بتطور الأمم." حيث ربط العمران بتطور المعرفة وازدهار العلم فهو حسبه يعيشان في علاقة تكاملية وينموان

في المدينة ويتقهقران مع نقيضها، وهذا راجع حسبه إلى الحركة العامة للمجتمع التي تهتم بالمدن إلى تطوير العلم، في حين أن البدو يركزون على لقمة العيش والحياة"[1] وهو الذي أخضع الظواهر الاجتماعية للمنهج العلمي، من خلال دراسته للمجتمعات واختلافاتها ومراحل تطورها وذلك بالبحث في عمق الواقع الاجتماعي، وان لم يكن ابن خلدون قد أشار في مقدمته لقواعد المنهج العلمي التي استند عليها، إلا أن ذلك يظهر جليا بحسب طريقة طرحه للمواضيع تاريخيا وهنا يستوقفنا تعريف ابن خلدون للتاريخ من وجهة نظر اجتماعية حيث قال: يهدف التاريخ إلى افهامنا الحالة الاجتماعية للإنسان، أعني الحضارة، ويهدف كذلك إلى أن يعلمنا الظواهر التي ترتبط بهذه الحضارة وإلى معرفة الحياة البدائية وتهذيب الأخلاق وروح الأسرة والقبيلة، وتباعد وجهات النظر في أن سمو شعوب على شعوب أخرى يؤدي إلى نشأة إمبراطوريات وأسر حاكمة، وفوارق الطبقات والمصالح" وقد أدى تتبعه لتاريخ الأمم وسيرورتها، إلى معرفة الفروق الجوهرية الاجتماعية التي شكلت فروقات بين الطبقات الاجتماعية.

وله أيضا منهجه القائم على الدقة للخلاص من نزعة الشك، وهي بذلك تبعث على الاستئناس بها في دراسة الظواهر الاجتماعية في البحوث الميدانية لدى الباحث الذي يندرج موضوعه ضمن بحث اجتماعي ميداني، يسعى من خلاله للوصول إلى نتيجة واقعية قائمة على التساؤل المستمر وتلك كانت طريقته في اكتشاف الحقائق عن طريق التشكيك النابع من حب المعرفة، والتوصل معه إلى حقيقة الأخبار والنتائج المتوصل إليها وفق منهجية علمية وقواعد تنبع من عقل متفتح ونقد موضوعي يبحث عن المعرفة الحقيقية وسبل اكتشافها مما يؤدي إلى المصداقية والابتعاد عن الذاتية ومن بين القواعد المنهجية التي ارتكز عليها ابن خلدون نوجزها في نقاط أساسية :

-قاعدة النقد الباطني السلبي، وتقوم على التحري من حقيقة مصادر الأخبار وصدق ناقليها أو مؤلفيها.

-الابتعاد عن التعصب للآراء والأحكام والالتزام بالموضوعية.

-موسوعية المعرفية للمؤرخ فمن يرغب بالبحث في أي بحث علمي أو معرفي وجب أن يكون موسوعيا ومطلعا بكل ماله علاقة بموضوعه، وهذا ما ميز العلامة ابن خلدون.

-المعرفة العقلية والتي توصل إلى المعرفة العلمية، بحيث يأخذ بما يتوافق مع العقل وما هو حقيقي في الواقع. من مقال بعنوان: المنهج العلمي عند ابن خلدون قواعده مصادره معالمه. للطالبتين: وشنان حكيمة ومنصوري سميرة، مجلة العلوم الاجتماعية، ع2، 2007.

نلاحظ مما سبق أن ابن خلدون ترك ارهاصات أولية على أسبقية المسلمين في تناول المنهج العلمي" فقد رفض تصنيف التاريخ كعلم شرعي، واعتبره علما عقليا، واعتبر التاريخ ليس ماض تهيمن عليه الأيديولوجيا فقط، بل هي وقائع وأحداث تفيد في فهم مستقبل الشعوب والمجتمعات، ما شكل ثورة منهجية ضد منهج النقل، ودعوة لتتبع منهج العقل؛ منهج الدقة والتجربة والتمحيص، كما اعتبر ابن خلدون الأخطاء التي وقع فيها المؤرخون مدخلا هاما لوضع القواعد العلمية للبحث الاجتماعي بعدا وجهه لهم جملة من الانتقادات"[1]. وقد كان ابن خلدون في نقده للطرق التقليدية والغير صحيحة التي قام بها المؤرخون محقا، فبعضها كان قريبا من الحقيقية، والبعض الآخر كان يشوبه التقصير والزيف والبعد عن الحقيقية، وترك فيما بعج بعض الملاحظات التي اشتملت على التروي في نقل الخبر، واستخدام الملاحظة والدقة، وتحري المصداقية، ومقارنة المجتمعات البشرية لتظهر الفروقات الحقيقية بين البيئات الجغرافية وتأثيرها على سلوك الفرد والجماعة.

[1]-ابراهيم أبرش، مرجع سابق، ص66-67.

6-5-اسهامات علماء أوروبا في البحث العلمي:

1-فرانسيس بيكون Francis Bacon (1561-1626):

شهد العصر الحديث ابتداء من القرن السابع عشر وحتى القرن العشرين ازدهارا واضحا في البحوث العلمية التجريبية بدأت بوادرها مع كتاب " الأورغانون الجديد" لفرانسيس بيكون الذي قدم رؤية جديدة عارض فيها منطق أرسطو القديم، كنوع من القطيعة المعرفية مع المنهج الأرسطي والتي ذاع صيتها في الفكر الحديث والمعاصر. إن فكرة الانقطاع مع القديم ونقده، والبحث عن الجديد حدد رؤية مفاهيمية جديدة استندت على المنهج التجريبي الذي يرتكز على الاستنباط والاستقراء معا، والانتقال من الكليات إلى الجزئيات، وقد قدم فرانسيس بيكون مجموعة من المبادئ يقوم عليها المنهج التجريبي من أهمها:

1-ضرورة تخلص العلم من الأفكار المسبقة، وضرورة اخضاعه للملاحظة والتجريب

2-عدم الاقتصار على البحث النظري والمقدمات المنطقية، بل ضرورة الاعتماد على التجريب القائم على استنباط القوانين.

3-قيام التجريب العلمي على الملاحظة في بداياته.

4-تنظم المعطيات بعد جمعها، وتتم المقارنة بينها؛ لتحديد ما هو جوهري، وما هو عرضي، ثم التحقق من صحتها"[1].

ومع كل هذه الاسهامات الجليلة التي أبان عنها المنهج التجريبي عند فرانسيس بيكون إلا أنه ساهم أيضا وبشكل واضح في طرح آراء أخرى هامة تساهم في

[1]-ابراهيم ابرش، مرجع سابق، ص68.

تجنب الباحث الوقوع في أغلاط علمية وأوهام فكرية؛ تؤدي به إلى معرفة مضللة، وقد اعتبرها بمثابة أوهام فكرية معيقة في تطور سير البحث العلمي، واتجاهه نحو الموضوعية والعلمية وقد ذكرها في كتابه" الأروغانون الجديد" وتتمثل في مايلي:

-الميل إلى التسرع في الحكم والتعميم بما يناسب أهواءهم الفكرية، مما يؤدي إلى تعود الباحث على العلل الغائية، ومصدره حسب بيكون هو ذاتية الانسان.

-الاستخدام الخاطئ للألفاظ والجمل، في غير مدولولاتها، أو أن لها أكثر من معنى، فيحدث شرحا في التفسير، وتأويلا خاطئا للمعنى، فالأجدر تحري الدقة في استخدام اللغة العلمية في البحث العلمي.

-الإيمان المطلق بالنظريات الفلسفية القديمة، فقد اعتبرها بيكون تحوي الكثير من المغالطات"[1].

نستنتج مما سبق أن فرانسيس بيكون كان رائدا في البحث العلمي خاصة المنهج التجريبي، حيث جعل من التجريب مهمة أساسية في البحث العلمي، وبفضل ماقدمه من اقتراحات وتعديلات ونصائح، قد ساهم مساهمة جبارة في اخضاع البحث العلمي للدقة والوضوح، والبعد عن الذاتية والنمطية.

2-أوجست كونت Auguste comte (1789-1857):

ساهم عدد من الباحثين في البحث العلمي، ومن أهمهم أوجست كونت الرائد والمؤسس لعلم الاجتماع حيث يعود له الفضل في إدراج المنهج العلمي ضمن العلوم الاجتماعية، وهو" على رأس الداعين إلى ضرورة دراسة المجتمع باستخدام نفس الأساليب المستخدمة في العلوم الطبيعية وهو واضع أسس

[1]-محمد محمد محاسنة، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999، ص124-125.

المدرسة الوضعية"[1] بعدما تجاوز الفكر اللاهوتي والميتافيزيقي، وذلك لما شهده عصره من تقدم علمي، ساهم في التشجيع على اكتساب المعرفة وتطبيق الأساليب العلمية في دراسة الظواهر الاجتماعية.

كما أحدثت الثورة الفرنسية تغيرات جذرية في طبقات المجتمع على اختلافها، ما دفع أوجست كونت الى اتخاذ منهج علمي يؤسس لعلم جديد، يسعى من خلاله لتنظيم الظواهر الاجتماعية والحياة الفردية للمجتمعات" لقد كانت رؤية أوجست كونت لعلم الاجتماع رؤية علمية وضعية، وكان يرى حسبه أن على علم الاجتماع أن يطبق المنهجيات العلمية الصارمة في دراسة المجتمع"[2] وكان يهدف من خلال ذلك إلى تجاوز الطرق التقليدية الميتافيزيقية في التحليل، واتباع أسلوب التحليل المنظم والوصف الدقيق في دراسة الظواهر الاجتماعية، والابتعاد عن الذاتية والميول الشخصية،، حيث كان يرى" أن علم الاجتماع يستخدم الملاحظة والتجارب والمقارنة المرتبطة بشكل دقيق في النظام الاجتماعي لأوروبا الصناعية"[3] حيث تحول البحث العلمي بعد الثورة الصناعية إلى بحث علمي ووضعي. ومما ساعده في تفكيره الوضعي تأثره بالمدرسة الوضعية وبأستاذه سان سيمون.

3-إميل دور كهايم Durkheim (1858-1917):

لا يمكننا التحدث عن رواد علم الاجتماع الحديث وتجاوز عالم الاجتماع إميل دور كايم ودراسته للمجتمع وفق المنهج العلمي، والتي اعتبرت أبحاثه الأكثر شمولا واتساعا بحيث اشتملت على" مواضيع جوهرية تناولها في دراساته وهي: أهمية علم الاجتماع باعتباره علما إمبريقيا تجريبيا؛ وبروز الفرد

---

[1]-ابراهيم ابرش، مرجع سابق، ص71.
[2]-أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط4، ص62.
[3]-مهن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، عمان، ط1، 2000، ص165.

ونشوء نظام اجتماعي جديد؛ والنظام الأخلاقي في المجتمع من ناحيتي أصوله وطبيعته، وكان همه الرئيسي أيضا دراسة الحقائق الاجتماعية، وبدلا من تطبيق مناهج علم الاجتماع على دراسة الأفراد، فإن على علماء الاجتماع أن يركزوا بحوثهم على الوقائع الاجتماعية"[1] ويعني بذلك تركيز الاهتمام على سلوكيات الأفراد وأفعالهم.

ويعترف اميل دوركايم أن دراسة الظواهر الاجتماعية للأفراد معتمدة على مدى اتباع منهج استقرائي، حيث دعا إلى تطبيق المنهج الاستقرائي في لدراسات الاجتماعية، من خلال ملاحظته للظواهر الاجتماعية، ووضع قواعد خاصة بملاحظة الظاهرة، وأخرى لتفسيرها"[2]

ومما سبق طرحه وشرحه، يظهر جليا مدى تأثير المنهج العلمي ورواده في مسار علم الاجتماع، وتأثير رواده على مسار الأساليب والطرق العلمية في البحث والتحليل والاستنتاج، نحو الوصول إلى معرفة علمية موضوعية ودقيقة، تستند على أسس علمية صحيحة، وطرق علمية وعملية، باعتماد العمليات الأساسية للمنهج العلمي، التي تنتهج من خلالها رؤية واضحة ومنظمة في توجيه البحث العلمي نحو القبول والوضوح والمصداقية دون غلو فكري، أو اطناب، أو مقارنات غير مبنية على أسس علمية وتجارب واقعية. ما سمح للمنهج العلمي بالازدهار والتمركز حول العلوم الاجتماعية وإبراز دورها الهام في تكوين باحثين مؤسسين ضمن منظومة معرفية تعتمد على تسلسل منطقي ومنظم يخدم الفكر الاجتماعي.

---

[1]-أنتوني غدنز، مرجع سابق، ص64.
[2]-ابراهيم ابرش، مرجع سابق، ص73.

7-المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية والإنسانية

من المناهج التي تستعملها العلوم الإنسانية والاجتماعية في دراساتها على سبيل المثال لا الحصر: المنهج التاريخي، والمنهج التجريبي والمنهج الكمي أو الإحصائي، وفيما يلي شرح كل منهج على حدا:

7-1-المنهج التاريخي:

لا شك أن هناك علاقة سببية بين الماضي والحاضر سواء من حيث أنماط الحياة السائدة أو من حيث النظم والمستوى الحضاري في كل حقبة من حقبات التاريخ، هذا ويعتبر العالم العربي **ابن خلدون** هو أول من استخدم المنهج التاريخي في مقدمته الشهيرة، ثم الفيلسوف **جبوفاني فيكو**، ولكن الفضل في تحديد معالم المنهج التاريخي يعود للفيلسوف الفرنسي سان سيمون، الذي عمل على الربط بين المنهج التاريخي والمنهج العلمي، فالطريقة التاريخية تستخدم عادة إذا ما أراد الباحث أن يحكم على الحاضر في ضوء ما حدث في الماضي مرتكزا على عدة مصادر منها ما هو أولي، ومنها ما هو ثانوي ومنها ما هو ميداني، وقد تتنوع مصادر الباحث، فتكون إما رسمية صادرة عن هيئة أو جهة حكومية أن تكون صادرة عن هيئات خاصة وإن كانت بولين يونج P.Yong ترى أن مصادر المنهج التاريخي هي الوثائق والمصادر التاريخية المتنوعة والتاريخ الثقافي والمادي والمصادر الشخصية.[1]

ويهدف المنهج التاريخي إلى إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية، معتمدا في الأساس على الوثائق والأرشيف.

[1] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص160.

ويتضمن المنهج التاريخي، كأي منهج، مسعى خاصا ينبغي على الباحث في بادئ المر أن يقوم بجمع الوثائق المتنوعة ثم يقوم بتقييمها أو نقدها، ولهذا النقد مستويين، أحدهما خارجي والآخر داخلي.[1]

يتمثل النقد الخارجي الذي يسمى أيضا بنقد الأصالة أو بنقد التنقيب في إيجاد أصل الوثيقة، أي إرجاع الوثيقة إلى زمانها الحقيقي، ومعرفة كاتبيها ومؤلفيها، ومكانها الأصلي وكذلك تقييم حالتها، أي إدراك إن كانت تامة أم لا، فاسدة أم لا، بالكشف عن مواطن الزيف والنسخ والعثور على الأخطاء الممكنة.

أما النقد الداخلي والذي يسمى أيضا بنقد التأويل أو نقد المصداقية، فيتضمن التحقق من المعاني الحقيقية التي تحتوي عليها الوثيقة، ولهذا يركز الباحث على المحتوى وعلى الأسباب التي دعت إلى انتاجه، فيختبر مثلا المادة المنتجة، وبأي قصد ولأي غرض تم انتاجها وفي أي إطار عام يمكن وضع ما كتب في الوثائق أو الوثيقة، وماذا يمكن أن يعني ذلك بالنسبة للمعاصرين من تلك الحقبة الزمنية، إن الباحث مطالب أيضا بمعرفة إن كانت الحوادث المرورية وأيضا إن كان المؤلف شاهدا على ما كتبه في تقريره، أما إذا كان الأمر غير ذلك، أية معلومات يكون المؤلف قد اعتمد بهذه الكيفية، يصبح من الصعب أكثر إساءة الظن في معنى الوثيقة وبعدها أثناء استعمالها المحتمل في تحليل الفترة التاريخية المعنية.[2]

إن المنهج التاريخي يسمح إذن بتفحص الوثائق، وأي تطبيق له يتوقف على اكتشاف وثائق أخرى جديدة والمحافظة على القديمة منها باختصار، فالمنهج التاريخي ليس مجرد عملية بحث عن الوثائق بل يعتبر أيضا إجراءا لإثبات

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص105.
[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.

أصالة الوثائق ولترميزها والحفاظ عليها، ومن جهة أخرى يمكن تطبيقه عند دراسة كل أنواع الوثائق مكتوبة كانت أم سمعية، بصرية، والتي تم انتاجها في ماض قديم أو ماض حديث. فالفضل يعود إلى المؤرخين والمؤرخات في تجديد المنهج التاريخي، وجعله في متناول العلوم الإنسانية.[1]

وبعد ذلك كله يأتي دور الباحث في محاولة تنسيق الحقائق والمعلومات التي توصل إليها والربط بينها في كل متكامل ثم استقراء هذه البيانات وتفسير مدلولاتها في ضوء الأحداث التاريخية المصاحبة أو التطور الحضاري، حتى يصل الباحث إلى تفسير النتائج وتحليلها ومقارنتها بما توصل إليه غيره من الباحثين.

ولن تنتهي مهمة الباحث عند هذا الحد إذ عليه أن يصنف الظواهر محل البحث ويجتهد في استخدام خيال المؤرخ عند وضع فروض معينة مع تبرير ذلك الاجتهاد ثم يقوم بفرض الحقائق التي هداه إليها تحليله وتصنيفه فيما يعرف بمنهج التركيب التاريخي.[2]

ولا يبحث المنهج التاريخي في الظواهر الإنسانية فحسب، بل يبحث أيضا في الظواهر الماضية أيا كان نوعها، فهو يدرس ماضي الطبيعة وماضي المجتمعات، إذ يعتبره بعض العلماء يشتمل على المعلومات التي يمكن معرفتها عن نشأة الكون كله، مما يحويه من أجرام وكواكب ومن بينها الأرض، وما جرى على سطحها من حوادث الإنسان. كما يستطيع الباحث في علم الفلك دراسة القوانين التي تخضع لها هذه الأجرام في الماضي والحاضر والمستقبل على حد سواء.[3]

---

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص105.
[2] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص161.
[3] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 153-154.

ولا يقتصر استخدام المنهج التاريخي على العلوم الإنسانية فقط وإنما يستخدمه الأطباء أيضا في علاج مرضاهم، إذ أن الطبيب بجانب الكشف عن المريض، فإنه سيستفسر عن تاريخ حياته الصحية والأمراض التي ألمت به فيما مضى، وكذلك الأمراض التي أصابت آبائه[1].

ويستخدم المنهج التاريخي أيضا، في دراسة المعتقدات الدينية، وفي دراسة الأنساق السياسية والأفكار الفلسفية.

كما وجد كذلك أنه من الصعب على عالم الاجتماع مثلا، أن يعمل مع جماعات القرويين أو يقوم بدراسة ظاهرة من الظواهر في قرية من القرى دون أن يكون ملما وفاهما للتطور التاريخي لمجتمع القرية، فإذا أراد عالم الاجتماع دراسة النظام الإقطاعي فعليه الرجوع إلى تاريخ المجتمعات التي كان يسود فيها هذا النظام.

ذلك أن الظواهر الاجتماعية، هي من نتاج الماضي ومحصلة عوامل عديدة تفاعلت مع مرور الزمن، ودراسة الظواهر الاجتماعية في حالة الثبات فقط دون أن يوضع في الاعتبار التطورات المختلفة لكل ظاهرة عبر التاريخ، يعتبر دراسة غير كافية، لأنها تفتقر إلى الدقة وينقصها الإطار الزمني الحقيقي، فعند تحليل أي ظاهرة فواجب الباحث الاجتماعي أن يحلل القوى التاريخية التي خلفت هذه الظاهرة، سواء أكانت هذه القوى روحية كالأفكار الدينية والأخلاقية، أو مادية كالمصالح الاقتصادية.

[1] نفس المرجع، ص154.

لأن التاريخ ليس مجرد مجموعة من الأحداث، وليس مجرد سرد لحياة الملوك أو الأمراء، كما أنه ليس تسلسلا للغزوات والمعارك بل هو ترجمة لحياة الشعوب وتطورها الحضاري.[1]

7-2-المنهج التجريبي في العلوم الإنسانية والاجتماعية:

تستهدف الدراسة التجريبية، جمع المعلومات وتنظيمها بشكل يؤدي إلى إلقاء الضوء على مدى صحة فرض أو مجموعة من الفروض، وبقدر ما تكون طريقة جمع المعلومات وتنظيمها دقيقة لا تحتمل الطعن، تكون القيمة العلمية لهذه الدراسة، وبمعنى آخر إذا كانت النتائج التي نحصل عليها في تجربة ما يمكن تفسيرها بأكثر من تفسير بما يثبت أو يشكك في صحة الفرض المبحوث، فإن التجربة تكون غير علمية.

والمنهج التجريبي عبارة عن إجراء بحثي يقوم فيه الباحث بخلق الموقف بما يتضمنه من شروط وظروف محددة حيث يتحكم في بعض المتغيرات ويقوم بتحريك متغيرات أخرى حتى يستطيع أن يتبين تأثير هذه المتغيرات المستقلة في المتغيرات التابعة أو بمعنى آخر فإن المنهج التجريبي، محاولة لتحديد العلاقة السببية بين متغيرات محددة.[2]

إن علوم الطبيعة هي أصل المنهج التجريبي، ولمدة طويلة لم يستخدم هذا المنهج إلا لأهداف مادية، لأن الاعتقاد الذي كان سائدا هو أن هذا المنهج غير صالح للاهتمام بالإنسان، لكن وبفضل الطب في العلوم المرتبطة بهذا التخصص، بدأ المنهج التجريبي، يمتد تدريجيا إلى دراسة الأحياء ثم دراسة الإنسان بصفة خاصة، ويعد الفيزيولوجي **كلود برنار Claude Bernard**

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 155-156.
[2] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص162.

(1813–1878)، هو الذي قام بصياغة القواعد الأساسية في كتابه مقدمة لدراسة الطب التجريبي ووسع علم النفس بالاشتراك مع الفيزيولوجيا وسيلة التقصي هذه، وهكذا ظهر إلى الوجود أول مخبر علمي في علم النفس في ألمانيا سنة 1879، ثم جاءت بعد ذلك أعمال الفيزيولوجي الروسي **Ivan P.Parlov (1849–1936)** التي كرست المنهج التجريبي وثبتته في دراسة الكائنات الحية بهدف تغير سلوكاتها.

منذ ذلك الحين بدأ يؤذن أو يسمح بالتجربة على الإنسان ولكن يتوفر بعض الشروط المعينة، واستمرت البحوث في هذا الميدان منذ ذلك الحين معتمدة على هذا المنهج.[1]

هذا ويرجع الفضل إلى **فرانسيس بيكون** عندما ذكر أن الوسيلة الفعالة في البرهنة على صدق أحد الفروض تتمثل في "طريقة الحذف"، حيث يستطيع الباحث جمع الفروض التي يحتمل أن تكون سببا في حدوث ظاهرة ما، ثم يقوم بحذف ما يجده غير مؤكد حتى ينتهي إلى سبب وجيه، كما يرى **بيكون** أيضا إمكانية الكشف عن الصفات النوعية للأشياء أو خصائصها باستخدام ما أطلق عليه " قائمة الحضور" التي تحتوي على جميع الحالات الخاصة التي توجد فيها الطبيعة الأولية وتهدف إلى فحص صفة أو ظاهرة معينة، وإلى البحث عن جميع الأمثلة "قائمة الغياب" وتأتي بحالات مقابلة لتلك التي أمكن فحصها في قائمة الحضور، بحيث تكون كل جماعة هنا مقابلة لحالة خاصة هناك، وبحيث تشترك الحالات في جميع الظروف ما عدا ظرفا واحدا، و"قائمة

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص104.

التدرج" وفيها يقوم الباحث بإحصاء جميع الحالات الخاصة والأمثلة الجزئية التي توجد فيها صفة أو ظاهرة معينة بدرجات متفاوتة.[1]

هذا وقد اتخذت تلك الطرق عدة مسميات أخرى لدى **جون ستيورت مل** وهي طريقة الاتفاق وطريقة الاختلاف وطريقة التغير النسبي، وأضاف **مل** إلى هذه الطرق طريقة البواقي التي تمثل أسلوبا تجريبيا ينتهي إلى العثور على ظاهرة جديدة كانت مجهولة وتتطلب تفسيرا، بمعنى أنه إذا ما أدت مجموعة من المقدمات إلى مجموعة من النتائج، وأمكن إرجاع جميع النتائج في المجموعة الأولى ما عدا مقدمة واحدة، فمن الممكن أن توجد علاقة بين المقدمة والنتيجة الباقيتين.[2]

إن المنهج التجريبي، يحمل بصمات علوم الطبيعة حيث يعتبر هو منهجها النموذجي، أما استعماله في العلوم الإنسانية فهو محدود لأسباب متنوعة أولا، لأن ظواهر العلوم الإنسانية لا تحتمل القياس دائما كما يتطلبه تحليل النتائج التجريبية، ثانيا، لأن موضوع الدراسة، هو الكائن البشري، لا يمكن إجراء التجارب عليه إراديا وذلك عكس موضوع علوم الطبيعة، لهذا فإن الأخلاقيات واحترام حقوق الأشخاص، تتطلب رضى الشخص بالمشاركة في التجربة ولا تسمح بإجراء أية تجربة كانت، وأخيرا، فإن تعقد بعض الظواهر الإنسانية لا يمكن إرجاعه إلى العلاقة البسيطة الرابطة بين السبب وأثره، والأمر كذلك بالنسبة إلى معظم أحداث الماضي وكذا الظواهر التي تهم المجتمع كله.[3]

وكذلك فإن من الصعب على الباحث الاجتماعي، أن يخلق الظروف التجريبية، كأن يوجد موقفين أو مجتمعين متشابهين في جميع الوجوه عدا واحد يكون

---

[1] صلال الفوال، المرجع السابق، ص162.
[2] نفس المرجع، ص163.
[3] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص104.

موضوع البحث، ثم يقوم بتغيير هذا العامل في الموقف التجريبي ويقارن النتائج ولهذا نادرا ما يستخدم المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية، عدا عند دراسة للجماعات الصغيرة، وهذا ما دعا بعض العلماء **كستيورت ميل**، بأن يقرر أن التجريب لا يمكن استخدامه في العلوم الاجتماعية على الإطلاق، إذ ما زالت صعوبات التجريب تواجه علماء الاجتماع السلوكيين، الذين يعتبرون سلوك الشعوب والجماعات حقلا للتجارب الاجتماعية، يقوم على ملاحظة الظواهر الاجتماعية في ظروف تشبه التجارب التي تجري في المعامل.[1]

ونظرا لهذه الصعوبات التي تواجهها العلوم الإنسانية عند استخدامها للمنهج التجريبي، يرى الباحث **إيفانز بريتشارد** المعارض لإمكانية التوصل إلى القانون في العلوم الإنسانية، فقد اعتبر أن الأنساق الاجتماعية هي أنساق خلقية أو معنوية، وليست أنساق طبيعية يمكن مقارنتها بالأنساق الفلكية أو الفسيولوجية وبذلك لا يمكن أن نتوصل في هذه العلوم إلا إلى التعميمات الفضفاضة، لا إلى القوانين الدقيقة المضبوطة التي يصوغها علماء الطبيعة والفلك في صيغ رياضية كمية.[2]

وقد رد علماء الاجتماع من أصحاب المنهج التجريبي على تلك الاعتراضات، بأن هذا يرجع إلى حداثة علم الاجتماع، إذ أنه لم يصل بعد إلى مرحلة النضج، كما كان حال العلوم الطبيعية في بداية نشأتها ثم ظهر عدد من علماء الاجتماع، يستخدمون المنهج التجريبي، فقد أدت المشاكل الاجتماعية إلى إنماء علم الاجتماع النظري، وساهم هو بدوره في إنماء علم الاجتماع التطبيقي، ولم يعد هذا العلم في عصرنا الحالي يهمل المعرفة النظرية المكتسبة من البحوث التطبيقية، فقد عرفوا التحليل والعزل والضبط لعناصر المواقف الاجتماعية أو

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 174-175.
[2] نفس المرجع، ص176.

مظاهر السلوك البشـــري، وحللـــوا المتغيـــرات التـــي تحـــدثها مختلـــف المنبهـــات، والتي تؤدي إلى تغير السلوك الإنساني، وهذه يمكـــن ملاحظتهـــا وتســـجيل تأثيرهـــا على التغير، كما بحثوا عما يسمى "بالمفرد الاجتمـــاعي"، وحـــددوا العناصـــر التـــي يراد دراستها وعزلوها عن غيرها من العناصر حتى يمكـــن فهـــم علاقتهـــا وكيفيـــة تركيبها وعملها بغية الوصول إلى تعميم في مجال البحث.[1]

ويجري المنهج التجريبي في الدراســـات الاجتماعيـــة حـــين تقـــوم بتجربـــة معينـــة، فنختار منطقة محدودة تكون عينة لعدد من المناطق ونطبـــق عليهـــا نظامـــا جديـــدا، مثال ذلك: ينشأ مركز اجتماعي في قريـــة مـــن القـــرى لخـــدمتها، أو يطبـــق نظـــام دراسي معين في منطقة من المناطق، بالمقارنة بين حالتهـــا قبـــل التطبيـــق وبعـــده، نستطيع أن نعرف أثر النظام الجديد في الحياة الاجتماعية.

ويمكن للباحث أن يختار جماعتين متشابهتين في جميـــع الوجـــوه إلـــى حـــد كبيـــر، إحداهما جماعة تجريبية والأخرى ضـــابطة، ويـــدخل علـــى المجموعـــة التجريبيـــة برنامجا معينا أو مجموعة مـــن المتغيـــرات لفتـــرة مـــن الـــزمن، أمـــا المجموعـــة الضابطة فيتركها على حالها دون إدخال هـــذا البرنـــامج ثـــم تقـــاس المجمـــوعتين، ليرى الباحث ما قد اعتـــرى المجموعـــة التجريبيـــة مـــن تغيـــرات، خـــلال الفتـــرة التجريبية، والذي يعود بلا شـــك إلـــى البرنـــامج المتغيـــر المســـتقل الـــذي أدخلـــه الباحث في المجموعة التجريبية.[2]

وقد يستخدم الباحـــث الاجتمـــاعي، نفـــس الجماعـــة كجماعـــة تجريبيـــة وكجماعـــة ضابطة، فيقيس اتجاه فصل دراســـي نحـــو العمـــل الجمـــاعي مـــثلا، ثـــم يعـــرض مجموعة من البـــرامج التوجيهيـــة الخاصـــة لمـــدة شـــهر، ويعيـــد تطبيـــق مقيـــاس

[1] حسين عبد الحميد رشوان، المرجع السابق، ص177.
[2] نفس المرجع، ص ص 177-178.

الاتجاه مرة أخرى، فإذا وجدت فروقا جوهرية إحصائية، أفترض أنها ترجع إلى تأثير المتغير السببي هذا ومن المحتمل أن تظهر فروق ترجع إلى متغيرات أخرى تحدث أثرها في الفترة ما بين الملاحظتين، مثل الاستماع إلى الإذاعة، أو قراءة كتب تتصل بالموضوع، أو بالاشتراك في مناقشات جماعية قد ترجع إلى الأثر الناتج عن تطبيق المقياس مرتين، كذلك قد يقاوم الأفراد التجربة نتيجة لشعورهم بأنهم تحت الاختبار، فيحتفظون بنفس الإجابات عند تكرار الاختبار أو يعمدون إلى تغيرها دون أن يكون ذلك بالضرورة دليلا على تغير حقيقي في الاتجاه.

وهناك نوع آخر من التجربة، يطلق عليه التجربة المقارنة، فلنفرض أننا أردنا أن نقارن بين محاضرة في محو الأمية، وتأثير مناقشة جماعية في نفس الموضوع، على اتجاهات القرويين نحو الأمية، يمكن في هذه الحالة أن نخطط للتجربة على أساس إضافة جماعة ضابطة وفي هذه الحالة يكون عندنا ثلاث جماعات، جماعة تجريبية تستخدم فيها طريقة المحاضرة، وجماعة تجريبية أخرى تستخدم فيها طريقة المناقشة وجماعة ضابطة.[1]

كذلك يمك للباحث الاجتماعي ملاحظة الناس، وهم يعيشون في الأحوال الطبيعية، ويقوم بتسجيل سلوكهم تحت هذه الظروف، وفي الوقت نفسه يقوم بوصف هذه الظروف وصفا دقيقا، وهذا النوع من التجريب الاجتماعي يمكن اعتباره ملاحظة منظمة، والتجريب هنا يقوم على أساس التعرف على العلاقة بين مظاهر السلوك الإنساني وبعض ظروف الحياة.

هذا والتاريخ مملوء بالتجارب عن الجماعات السابقة، ويستطيع عالم الاجتماع، استخدام التجربة بالبحث عن العلل الاجتماعية، كالاضطرابات والثورات

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 178-179.

والحروب، وهذه الحالات الشاذة تجارب حقلية تقوم بها المجتمعات من تلقاء نفسها، دون أن يكون عالم الاجتماع في حاجة إلى إثارتها لوضع نظرية جديدة، وهنا تنحصر مهمته كما هو الحال في علم الوظائف الأعضاء في المقارنة بين الحالة السليمة والحالة المعتلة، وقد تقوده هذه المقارنات إلى تقرير قانون اجتماعي علمي، وهنا يشبه عمله عمل الطبيب الذي يلاحظ مرضاه في ظروف مختلفة، ويفحص تأثير هذه الظروف ثم يستنبط بعض النتائج ليتأكد من صدقها، بملاحظات جديدة.

ولعل من أهم المظاهر في استخدام المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية، استخدام الألفاظ والمصطلحات المستخدمة في العلوم الطبيعية مثل التفاعل والتركيب والديناميكا والمتغيرات، كما يستخدم كذلك الأساليب الإحصائية، وإذا قيل أن الظواهر الاجتماعية معقدة ولا يمكن قياسها، فيرد على ذلك بأن هذا يرجع إلى عجز العلماء عن مراقبتها وقياسها والتوصل إلى معرفتها، ذلك لأنهم لم يصلوا بعد إلى طريقة مثلى لقياسها.[1]

أما عن الجبرية والحتمية التي يدعي المعارضون أنها لا توجد في العالم الاجتماعي نظرا لحرية الإنسان، فهي موجودة في هذا العالم، ذلك أن الإنسان يخضع في سلوكه وتصرفه سلسلة من المؤثرات اجتماعية وغير اجتماعية، الأولى تتلخص في الأسرة وبيئة الأصدقاء والبيئة المدرسية والمجتمع والثانية غير اجتماعية، تتمثل في البيئة والعوامل الجغرافية كالتضاريس والمناخ الذي يتربى فيه، والجنس الذي ينتمي إليه.

ومما سبق، يتبين أن الظواهر الاجتماعية يمكن أن تخضع لمنهج التجربة ولفكرة القانون، شأنها شأن الظواهر المادية، أي يمكن استخلاص قوانين دقيقة

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 179-180.

وعامة تنطبق على العديد من الحالات، كما تسمح بالتنبؤ بمستقبل الظواهر الاجتماعية.[1]

7-3-المنهج الكمي أو الإحصائي:

لا يستغنى الفرد العادي في حياته اليومية عن الإحصاء، فهو يعد الأشياء ويحسب المجموع ويستخرج النسب المئوية والمتوسطات ويقارن ويصف ذلك لأنه يرى أن هذه العمليات تقوده إلى الادراك الواضح لمحتويات البيئة وإلى الأساليب الصحيحة في الوصف والمقارنة.

وفي مجال العفة والعلوم، يعتبر العلماء أن العلوم مرتبة ترتيبا زمنيا من حيث تقدمها وتأخرها بحسب أخذها بلغة الكم في مجال بحثها ويعتبرون أن الرياضة هي أرقى العلوم، لأنها تستخدم لغة الكم دائما، ولهذا يعتبر المنهج الإحصائي، أكثر المناهج انتشارا بين العلوم، والدليل على ذلك أن كل العلوم التي تقوم على الملاحظة لا غنى لها عن استخدام الإحصاء في إقامة القوانين التي تعتمد على تلك العلوم.[2]

ولقد حاول الكثير من المفكرين أن يجعلوا من الإحصاء علما له قواعده وقوانينه، وحاول البعض الآخر أن يجعله علما تابعا للعلوم التجريبية، أما التفكير الحديث، فقد جعل الإحصاء أداة للقياس ومنهجا للبحث، يقدم للعلماء المادة الخام التي تساعد على إقامة النظريات، ويعني بالمنهج الإحصائي تجميع المادة العلمية تجميعا كميا، وهو بذلك يعكس نتائج البحث العلمي في صورة رياضية بالأرقام والرسوم البيانية أي في صورة كمية، ومن ثم تسهل المقارنة، ويستطيع الباحث أن يصل إلى الحقيقة.

---

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص180.
[2] نفس المرجع، ص183.

ويستخدم المنهج الإحصائي في تحليل وبيان الأحداث المتكررة التي لا تخرج ضمن المخرجات، فقد يكون الحدث الزواج مثلا، أما المخرجات فقد تكون الطلاق أو استمرار الحياة الزوجية.[1]

ويعتبر المنهج الاحصائي اليوم، القاسم المشترك لكثير من البحوث السوسيولوجية ولغيرها من البحوث في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية الأخرى، حيث يلعب دورا أساسيا في تحقيق الغايات الرئيسية لتلك العلوم خاصة فيما يتعلق بالتفسير والتنبؤ.

هذا ويكسب المنهج الاحصائي قوته وفعاليته من عدة اعتبارات أساسية منها:

1-إخضاع الظواهر محل البحث للتحليل الكمي القياسي يزيد من قدرتنا على الإحساس بمدى التغير في هذه الظواهر وبالتالي يزيد من قدرتنا على الاستنتاج والتنبؤ السليم.

2-إن الطريقة الإحصائية، تهيئ للباحثين أسلوبا موضوعيا محايدا للبحث، له قواعده وأصوله التي يجب أن يلزم بها الباحث حتى يتجنب مواطن الزلل والتحيز الشخصي.

3-إن الطريقة الإحصائية التي يتطلب الأمر فيها دراسة مجتمعات سكانية، تتكون من عدد كبير من الأفراد متباينين في صفاتهم وطبائعهم وتصرفاتهم، وبالتالي فقد يصعب دراسة هذه المجتمعات على أساس بحث حالات فردية دون التعرض لأخطاء التحيز.

[1] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص164.

فالطريقة الإحصائية تكاد تكون الطريقة المثلى للبحث في هذا الميدان هي استخدام الأساليب الإحصائية للوصول إلى نتائج قابلة للتعميم.[1]

ولقد استخدم الإحصاء كوسيلة للحصر والتعداد قديم جدا، وإن لم تكن له الأساليب التي تضفي عليه درجة كافية من الدقة، ففي قديم الزمان استخدم الإحصاء كأداة للقياس، ولكن الأمانة والوعي لم يكونا متوفرين في جميع البيانات مما أتلف هذه الطريقة وصرف الأنظار عن متابعتها بالتحسين والتجويد، إلى أن قامت الثورة الصناعية فظهرت في مستهل القرن التاسع عشر حاجة ملحة إلى إعداد سجلات إحصائية لوصف المجتمع الصناع وحصر العمال وتقدير أحوالهم وأجورهم، لإلقاء الضوء على المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي أعقبت قيام الثورة الصناعية.[2] ثم حدث تطور واضح في مفهوم المنهج الاحصائي مع مستهل القرن العشرين وبوجه خاص منذ قيام الحرب العالمية الأولى، حيث استخدم الإحصاء كأداة لحل المشكلات ولتجديد سير الأحداث، ودخل الإحصاء في نطاق المشروعات الصناعية، فأحدث ثورة في تحديد خطوط الإنتاج، وأصبحت المنتجات الحديثة تعتمد في تدعيم كيانها وفي الوقوف على نواحي النقص فيها الوسائل الإحصائية، ويدين المنهج الاحصائي بتراثه وذيوعه إلى:

1-التقدم الملموس في علم الرياضيات ونظرية الاحتمالات أثر بشكل واضح في زيادة المتاح من الأساليب والأدوات الإحصائية.

2-انخفاض تكلفة البحث الاحصائي، نتيجة لتقدم نظرية العينات وطرق سحبها وإمكان استخدام العينات للوصول إلى نتائج يمكن الاعتماد عليها، كما ساعد

[1] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص164.
[2] نفس المرجع، ص165.

على انخفاض تكاليف البحث الاحصائي استخدام الأجهزة الآلية في تفريغ وتبويب البيانات التي وفرت الكثير من الوقت والمال اللازمين للحصول على النتائج.[1]

وللمنهج الاحصائي مميزات عديدة منها:

1-تجعل الباحث يتجرد من عواطفه ومشاعره، ويحكم على الظواهر حكما موضوعيا، فالأرقام هي التي تتكلم وتبين طبيعة الظاهرة.

2-الإحصاء مهناه أنه إذا وجدت وقائع معينة وقام بقياسها عدد من الباحثين مستخدمين منهجا مشتركا واحدا، فإن النتائج التي يصلون إليها تكون واحدة.

3-يضع الباحث قوانينه في صورة كمية، مما يجعل نتائجه أقرب إلى الدقة العلمية بعيدة عن مرونة الألفاظ، والتعبيرات اللغوية، وعن الغموض والابهام، فنظرة واحدة إلى رسم بياني تكفي لإعطاء الفرد فكرة واضحة عن تطور ظاهرة من الظواهر، أو ارتباط ظاهرة بأخرى أو المقارنة بين الظاهرتين.

4-كلما كانت النتائج دقيقة ساعد ذلك على التنبؤ الدقيق في ميدان هذه الظاهرة.

5-وهذا بلا شك يساعد على حل الكثير من المشكلات الاجتماعية فإحصاءات السكان تساعد على معرفة توزيعهم من حيث السن والنوع والمستوى الصحي والاقتصادي والثقافي...الخ، وهذا يساعد على معرفة الكثير من مشاكل المجتمع وقوته الإنتاجية والدفاعية مثلا، واحصاءات المواليد والوفيات والزواج والطلاق، تعرف الباحث بمشاكل المجتمع وتوقفه على الأسباب

[1] صلاح الفوال، المرجع السابق، ص ص 165-166.

الحقيقية لهبوط مستوى المعيشة وانخفاضه، وعلى ضوئها يتم وضع الأسس الإصلاحية ووسائل العلاج.[1]

ويمر البحث الذي يستخدم المنهج الاحصائي بالمراحل الست الآتية:

1-تحديد المشكلة موضوع البحث.

2-جمع البيانات الخاصة بها.

3-القيام بأبحاث ميدانية، إذا استلزم الأمر ذلك.

4-تصنيف البيانات.

5-عرض البيانات.

6-تحليل البيانات احصائيا.

وقد كان العالم الألماني **(جوتفريد إخنقال)** عام 1759 أول من أطلق على هذه الدراسة اسم الإحصاء Statistique، إذ كان هذا العلم في مبدأ أمره عرضا ذو دلالة وصفية فحسب لمجموع المعطيات الهامة في جميع النظم التي تميز بلد أو دولة: سياسة، سكان، الإنتاج، الثروة..الخ[2] دون أن يكون لهذه المعطيات في معظمها صورة عددية، ثم استمر التيار الاحصائي في النمو حتى انتهى إلى ظهور الإحصاء الأخلاقي للعالم البلجيكي **(كيتلييه)**، وأعطى "**أوجست كونت**" أهمية وضرورة لاستخدام هذا المنهج، وأشار إلى أن استخدامه يؤدي إلى تقدم علم الاجتماع.

واستخدم "**إميل دوركايم**" المنهج الاحصائي في دراسته لظاهرة الانتحار وتبين له عدم وجود ارتباط بين الانتحار والسن والجنسية ومحل الإقامة والتعليم،

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 185-186.
[2] نفس المرجع، ص186.

وإنما ظهر له ارتباط بين الانتحار وأنواع أخرى من العلاقات هي العلاقة بين الفرد والمجتمع.

وفي ابريطانيا بدأت حركة البحث الاحصائي في مطلع القرن التاسع عشر وخاصة في عام 1801 تحت إشراف "**جون ريكمان Rickman**" حيث تركزت هذه الدراسات حول تعداد منظم يضم عددا من البيانات الديموغرافية التي كان البرلمان البريطاني بحاجة إليها للقيام ببعض الإصلاحات ويرجع الفضل إلى " **جون سنيكلار Sinclaire**" في إدخال الأساليب الكمية في المسوح التي تناولت دراسة المناطق الريفية.

واستخدم " **تشارلس بوث**" التعدادات والإحصاءات الرسمية في دراسته للحياة والعمل لسكان لندن، ووضع في اعتباره الدخل والمهنة، وعدد الحجرات التي تسكنها الأسرة.

ويستخدم المنهج الاحصائي في علوم الفلك والطبيعة والكيمياء، كما يستخدم في علم طب الأسنان وعلم الحيوان والصحة العامة، ذلك أن المادة العلمية لهذه العلوم مادة كمي ودقيقة.[1]

أما العلوم الاجتماعية، فقد انتقلت من المنزعات العاطفية والكيفية إلى استخدام المناهج الإحصائية، التي أصبحت تمثل عنصرا هاما في البحوث الاجتماعية، كما أصبح المنهج الاحصائي بديلا لمنهج التجربة الذي يصعب استخدامه في دراسة العلوم الاجتماعية، كذلك يواجه المنهج الاحصائي صعوبة استخدام المنهج المقارن، إذ تفترض المقارنة توفر تطابق في ظواهر معينة واختلافات في ظواهر أخرى، ولهذا نجد المشيعين لهذا المنهج يرون أن كمال العلم هو في إمكانية صياغة نتائجه في صورة رياضية، ولن تكون العلوم الاجتماعية

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 186-187.

علوما إلا إذا استطاعت الوصول إلى هذه النتيجة كما يقول **كتيلييه** الوسيلة الوحيدة التي تستخدم في دراسة الظواهر التي لا نستطيع أن نجري عليها تجارب، وكما يقول **كورنو Cournot** يساعد على تجميع وتنسيق عدة وقائع ذات نوعيات مختلفة، ويمكن من الحصول على بيانات ندركها عن طريق الحس[1].

ويعتمد المنهج الاحصائي عند **النويرتنفر** بشكل ملحوظ من أن تسمح بإنهاء العلاقات الزوجية ولكن موت الأطفال باستمرار يعتبر في العادة أساسا صالحا للطلاق، أو "وفي كل الأحوال تقريبا يبدي الرجل حين يطلق زوجته استعداد للاحتفاظ بأولاده" أو أن نقول "الطلاق نادر" أو "غير شائع" وهي ألفاظ لا تعطي فكرة دقيقة عن مدى القدرة أو الشيوع فبدلا من استخدام تلك الأحكام الوصفية، فإن ترجمتها إلى أرقام وأعداد يعطى بيان أكثر دقة.[2]

ويؤخذ على المنهج الاحصائي، أنه كثير ما يقدم بيانات إحصائية تفتقد إلى الدقة، وقد أكد **دزرائيلي Disraeli** هذا المعنى، فكثير من الإحصاءات التي تنشرها مكاتب الدعاية والمجلات السياسية، والجرائد يعوزها المقارنة البسيطة.

كذلك فإن علماء العلوم الاجتماعية، قد أكثروا من استخدامهم لهذا المنهج حتى أخرجهم هذا عن المقصود باستخدامه، وفي هذا الصدد يقول **سوروكن** " إننا لا ننكر أهمية الإحصاء في دراسة العلوم الطبيعية بالبحث عن معادلات رياضية، اتجاه يجرب علم الاجتماع ويكشف عما سماه " هوس الاستخبارات".[3]

---

[1] حسين عبد احميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص ص 187-188.
[2] نفس المرجع، ص188.
[3] نفس المرجع، ص197.

8-المناهج الكمية والمناهج الكيفية

هناك نوعين من المناهج في العلوم الاجتماعية، المناهج الكمية والمناهج الكيفية، ومن المتفق عليه، على مستوى الإجراءات أن نميز في بحوث العلوم الإنسانية بين تلك التي تهدف إلى قياس الظواهر عن تلك التي تسمح بأخذ معطيات كيفية لا يمكن قياسها أو عدها. لهذا تتطلب المناهج الكيفية والكمية مجموعة من الإجراءات المختلفة، أي بتعبير آخر، فإن العلوم الإنسانية تستعمل في دراساتها المناهج الكمية والمناهج الكيفية.[1]

فالمناهج الكمية تهدف في الأساس إلى قياس الظاهرة موضوع الدراسة، وقد تكون هذه القياسات من الطراز الترتيبي (Ordinales) مثل "أكثر من أو أقل من" أو عددية باستعمال الحساب، إن أغلبية البحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية تستعمل القياس، وكذلك الأمر حينما يتم استعمال المؤشرات، النسب، المتوسطات أو الأدوات التي يوفرها الإحصاء بصفة عامة.

إننا نستنجد بالمناهج الكمية، أثناء محاولة معرفة مثلا: تطور أسعار الاستهلاك منذ عشر سنوات، نية التصويت في الانتخابات القادمة، الارتباط بين درجة التحضر ونسبة المواليد.

أما المناهج الكيفية، فتهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة، وعليه ينصب الاهتمام هنا أكثر على حصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها.[2]

لهذا يركز الباحث أكثر على دراسة الحالة أو دراسة عدد قليل من الأفراد (Deslauries1991)، فعندما يحاول الباحث معرفة أطوار تعلم الطفل، أو

---

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص100.
[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.

الأحداث التي طبعت عشرية زمنية أو تصورات الحب في بلدان مختلفة، فإنه يستعين في ذلك بالمناهج الكيفية.

ولقد ظلت المناهج الكمية ومنذ زمن طويل مناوئة للمناهج الكيفية، فهي تعتمد على صيغ رياضية للواقع، ونظرا إلى استعمالاتها العادية والمتكررة من طرف علوم الطبيعة، فقد اعتبرت منذ البداية أنها أكثر صرامة وعلمية من المناهج الكيفية، حيث أدى هذا بالعلوم الإنسانية، إلى الاعتقاد ولمدة طويلة أن نموها ومصداقيتها مرهونان باستعمال أكثر للتكميم في بحوثها، فلقد استعانت بعض تخصصات العلوم الإنسانية مثل الاقتصاد، الجغرافيا، علم الاجتماع، علم النفس وعلوم الإدارة بالرياضيات في دراستها للظواهر، لأن طبيعة موادها ومواضيعها تتقبل ذلك بسهولة.

ومع ذلك لا يمكن إخضاع الظواهر الإنسانية دائما للتكميم، لهذا فهي ملزمة أيضا باستخدام المناهج الكيفية التي تستعين أكثر بالأحكام، وبدقة ومرونة الملاحظة أو بفهم التجارب التي يعيشها الأفراد.[1]

وإضافة إلى ما تقدم، فإن الظواهر الإنسانية ومهما كانت دقة القياسات الكمية المستعملة في قياسها، ستظل محتفظة ببعدها الكيفي، فعندما يتحدث المرء مثلا عن درجة الرضى عن العمل أو درجة النزعة المحافظة، لدى مجموعة بشرية ما، أو الازدهار في دولة ما، وهي كلها ظواهر لها قياسات حسابية، فإن المصطلحات المستعملة هي من طبيعة كيفية وتعود إلى حقائق إنسانية لا تستجيب أبدا للقياسات الكمية التي تمت تهيئتها من أجل ذلك، فالرضى والنزعة المحافظة والازدهار مصطلحات تشير أصلا إلى تقدير الواقع ويبقى الحساب ليس أكثر من مجرد تكميم.

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص101.

إن الأهداف المتبعة والمواد المتوفرة هي التي تحدد إما درجة التكميم أو المسعى الكيفي الذي ينبغي اعتماده، لأننا عندما نريد قياس نوعية ظاهرة ما، فإن الأعداد في حد ذاتها لا تضيف شيئا مهما كانت دقيقة، وعكس ذلك، فإن وصفا نوعيا مفصلا سيكون عديم الفائدة إذا كان المعطى الرقمي أكثر وضوحا، يبقى الأهم في أخذ كل الوسائل الضرورية لتعميق موضوع الدراسة وتحليل كل جوانبه، إن هاتين العمليتين المنهجيتين الكبيرتين هما الآن مكسبين تشترك فيهما العلوم الإنسانية.[1]

9-الموضوعية والذاتية

9-1-الموضوعية: يرتكز البحث العلمي في مصداقيته وجديته على الموضوعية، التي تعكس مصداقية الباحث وبعده عن الميول الشخصية، والنزعة الذاتية، والمجاملات العلمية. وبالتالي فإن إنجاز الدراسة لأي مشروع بحثي يتطلب من الباحث الحيادية الإيجابية، وفي ذلك يقول كارل بيرسون:" يجب على الباحث العلمي أن يحذف العامل الشخصي من أحكامه وأن يقدم قضايا وبراهين تصدق عند كل فرد كما تصدق له، فغاية العلم الوصول إلى أحكام موضوعية خالية من الأثر الشخصي"[2]. والنظرة العلمية البعيدة عن الاسقاطات الشخصية أو النزعة الطائفية أو الأيديولوجية. وهنا تظهر نزاهة الباحث وأمانته العلمية في النظر للبحث وطريقة شرحه وتفسيره دون تحيز أو تعصب.

وبالرغم من أن العقل اللاواعي والميول الذاتية قد تجره أحيانا إلى الخروج عن تركيزه، واتباع ميولاته الداخلية، إلا أنه وجب مراقبة النفس وإحلال العقل

---

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص101.

[2] -حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلم والبحث العلمي-دراسة في مناهج العلوم-، المكتب الجامعي الحديث، مصر، دط، دس، ص33-34.

العلمي والنظرة المتبصرة التي تساعد على تقديم تفسير معقول واستخراج نتائج تتناسب مع موضوعية البحث دون تجاوز أو انحياز.

ولعل استخدام الباحث للنقد الذاتي وتحليله العميق لما يقرأ والربط بين المقولات العلمية ومقاربة التفاسير في طرق نقلها وشرحها وتفسيرها، ستجد في ذلك الطريق الأنسب للخروج من الذاتية الفكرية، فيجد الباحث توازنا بين الذاتية والموضوعية.

لكن ذلك حسب رأيي في العلوم الاجتماعية قد لا يصل إليه كل باحث؛ بحكم أن العلوم الاجتماعية علوم حياتية تمس طريقة تفكيره، باعتباره جزء من المجتمع، وهنا يمكن أن تتدخل ميولاته الشخصية وخبرته الحياتية، وثقافته العامة في تقديم أحكام ذاتية وفق خبراته التي تعايش معها، والتي شكلت من خلالها بعض القيم والمعتقدات التي يصعب التنسل منها بسهولة، مما قد تترك أثرها على حضوره في تحديد مسار البحث أو نتائجه من خلال طريقة تحليله التي نوعا ما يبرز في بعض جوانبها اندفاعه الشخصي؛ بحكم أنه فرد في المجتمع يحق له أن يدلي بدلوه ويعطي رأيه حسب مايراه في رؤيته وفي خلده أمرا ضروريا أو مستحسنا.

9-2 الذاتية:

وفي المقابل ترتبط الذاتية بذات الإنسان أي إصدار الأحكام وفق ماتمليه عليه ذاته المفكرة، وخبرته المعرفية التي اكتسبها من الثقافة العامة والبيئة التي نشئ فيها، كما تعكس معتقداته وقيمه التي تبناها في موضوع معين، والتي تظهر في أثناء تحليله وتفسيره لظاهرة ثقافية أو عقائدية، بحيث يتجلى عنده جانب التحيز لقيمة موضوعية، أو لفكر معين، ولذا وجب أن تكون نظرة الباحث الذاتية للظاهرة المدروسة محدودة دون تميز، وألا تكون غير ظاهرة حتى

تلغي شخصية الباحث العلمية وروحه النقدية، وذهنه المتقد في استعمال مهاراته التحليلية.

كما ترتبط الذاتية في اختيار موضوع البحث، حيث يفضل أن تكون للباحث ميل شخصي، وشغف علمي اتجاه الموضع الراغب بدراسته، أو البحث المهتم بمعالجته، فإن الرغبة نحوه تشجعه على تقديم الأفضل، مهما وواجهته الصعوبات مادية كانت أو معنوية. وتساعده أيضا في الاستمرارية في أوقات الكسل والملل، أو تراجع مستواه نتيجة ضغوط نفسية أو عائلية.

قائمة المراجع

1-أبرش ابراهيم، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق، الأردن، ط1، 2009.

2-أنجرس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

3-دريدوي رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العملية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000.

4-رشوان حسين عبد الحميد أحمد، العلم والبحث العلمي، دراسة في مناهج العلوم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، السنة غير مذكورة.

5-زرواتي رشيد، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار هومة، الطبعة الأولى، 2002.

6-زيدان محمود، الاستقراء والمنهج العلمي، مؤسسة شباب الجامعة، 1ط، دس.

7-عمر معن خليل، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، عمان، ط1، 2000.

8-غدنز أنتوني، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط4.

9-غراويتز مادلين، مناهج العلوم الاجتماعية، تر: عمار سام، المركز العربي للتعريب والترجمة، دمشق، ط1، 1993.

10-الفوال صلاح، علم الاجتماع، المفهوم والموضوع والمنهج، دار الفكر العربي، 1982.

11-قاسم محمد، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999.

12-محاسنة محمد محمد، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999.

13-محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، دراسة في طرائق البحث وأساليبه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984.

14-معجم العلوم الاجتماعية، تصدير ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.

15-هبيدات عبد الرحمن وعبد الحق كابد، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، حقوق الطبع محفوظة للناشر.